الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

الموضوع:

أثر رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي في الكوميديا الإلهية لدانتي أليجييري

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب المقارن والعالمي

إعداد الطالبة:
مغتات أمينة

إشراف الأستاذ:
أ.د محمد عباسة

Pr Mohammed Abbassa
Université de Mostaganem

السنة الجامعية: 2024/2023

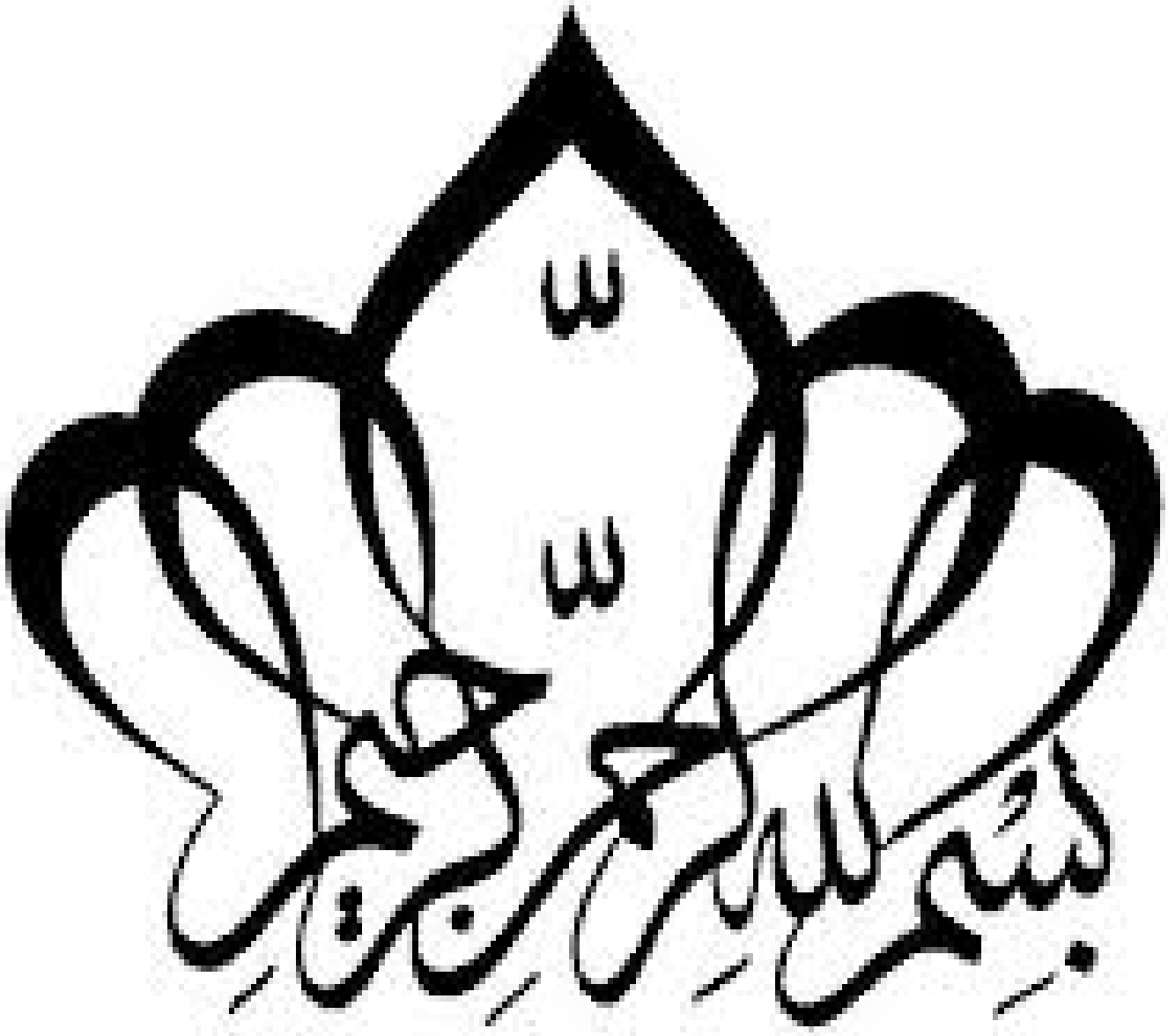
بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وعرفان

الحمد لله كثيرًا حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام على أشرف مخلوق أناره الله بنوره واصطفاه.

وانطلاقا من باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

أتقدّم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف د. محمد عباسة على إرشاداته وتوجيهاته التي لم يبخل بها عليّ يومًا.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل يد رافقتني في هذا العمل سواء من بعيد أو قريب، والشكر موصول أيضا إلى الوالدين الذين سهروا على تقديم كل الظروف الملائمة لإنجاز هذا البحث.

وأمّا الشكر الذي من النوع الخاص الذي أتوجه به إلى كاتبة بحثي هذا **دركي أمال** التي أسهمت بشكل وفير أثناء إنجاز البحث.

كما لا أنسى أن أشكر جميع الأساتذة والمؤطرين الذين تتلمذنا على أيديهم وأخذنا منهم الكثير.

- أمينـة -

الإهداء

مَنْ قال أنا لها "نالها"، وأنا لها وإن أبت رغما عنها أتيت بها. نلتها اليوم وعانقت مجدا عظيما، فعلتها بعد أن كانت مستحيلة لكني وصلت.

الحمد لله حبا وامتنانا، الحمد لله الذي بفضله أدركت أسمى الغايات، أنظر لنفسي ونجاحي كالذي ينظر إلى معجزته، إلى الحلم الذي طال انتظاره، تحقق بفضل الله وأصبح واقعا أفتخر به.

إلى من كانت الدائمة الأولى والأبدية، ملاكي الطاهر، من كان وجودها يمدني بالسعي دون ملل، إلى التي ظلّت دعواتها تضم اسمي دائمًا، معلمتي الأولى، دكتورتي الأولى (أمي ومحبوبتي وملهمتي).

إلى العزيز الذي حملت اسمه فخرا، يردد اسمي عاليا في عنان السماء، حاملة شرف لقبك وبكل اعتزاز أنا لهذا الرّجل ابنته إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار (أبي ورفيق دربي) أدامك الله سندا لنا. أهديكما هذا الإنجاز الذي لولاكما لم يكن، أهديكما مراحل إنجازاتي كلها فالفضل والثناء لله عزّ وجل ثمّ لكما.

إلى خيرة أيامي وصفوتها، إلى من مدت لي أياديهم وقت ضعفي، وآمنوا بقدرتي، إلى ضلعي الثالث وأمان أيامي (إخواني وأخواتي). إلى الذين يبهجهم نجاحي، ولكل من كان عونا وسندا في هذا الطريق.

أخيرا الشكر موصول لنفسي على الصبر والعزيمة، أختم كل ما مررت به بفخر ونجاح الحمد لله، راجية من الله تعالى أن ينفعني بما علمني وأن يعلمني ما أجهل ويجعله حجّة لي لا عليّ.

– أمـينـة –

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه المهتدين ونحمدُ الله حمداً كثيراً مباركاً على عونه ونسأله التوفيق والتيسير من عنده آمين، أمّا بعد:

من أَعقد معضلات الأدب المقارن، مسألة التأثير والتأثر، خاصة عند دراسة أعمال أدبية تتقاطع في بعض السّمات والموضوعات، يواجه الباحثون تحدّياً في تحديد ما إذا كانت هذه التشابهات نابعة من تأثير مباشر لأحد الأعمال على الآخر، أم من ظروف ثقافية أو تاريخية مشتركة.

فمن غير الدقيق حصر الإبداع في كونه خالياً من التأثيرات الخارجية، فالإبداع الحقيقي يتميز بقدرته على دمج التأثيرات الخارجية مع الخصوصية والبصمة الفريدة التي تميزه عن أي عمل آخر.

تبرز رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي والكوميديا الإلهية لدانتي أليجييري كنموذجين رائعين لدراسة التأثير والتأثر في مجال الأدب المقارن، لما يجمعهما من تشابه.

وهكذا ولدت الفكرة من رحم التّأمل، لتُزهر في صفحات مذكرتي بعنوان "أثر رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي في الكوميديا الإلهية لدانتي أليجييري".

حَرصت في هذا العمل على دراسة الموضوع من جميع جوانبه مستخدمة المنهج المقارن الذي اعتمدت عليه في تحديد مواطن التأثير والتأثر بينهما، والمنهج التاريخي ويتمثل في تاريخ كل من المعرّي ودانتي في عصر كل منهما وتحديد أصول رسالة الغفران والكوميديا الإلهية الأوروبية منها والإسلامية.

اخترت هذا الموضوع لأسباب جَمَةٍ، تأتي في مقدّمتها رغبتي في إلقاء الضوء على تأثير الأدب العربي والثقافة الإسلامية على الأدب الأوروبي، وذلك من خلال دراسة تحليلية للكوميديا الإلهية لدانتي، والكشف عن مصادرها وتأثيراتها العربية. ولم يقتصر دافعي على ذلك فقط، بل سعيتُ أيضاً إلى خوض تجربة مقارنة بين أدبين عريقين، هما الأدب العربي

والأدب الأوروبي، لفهم أوجه التشابه والاختلاف بينهما واكتشاف ما يجمعهما من قواسم مشتركة، وأدى انتشار الدراسات حول هذا الموضوع دوراً هاماً في اختياري له، ممّا يدلّ على أهميته وجاذبيته للباحثين والمهتمين بالتبادل الثقافي بين الحضارات.

تكمن أهمية الموضوع في جملة من النقاط أذكر منها التالي:

- إلقاء الضوء على قطبين أدبيين خلدا اسميهما من خلال إبداعاتهما المتميزة.
- أبو العلاء المعرّي: شاعر وفيلسوف عربي صاحب "رسالة الغفران".
- دانتي أليجييري: شاعر إيطالي صاحب "الكوميديا الإلهية".
- البحث عن تفسيرات تبرّر التشابه الواضح بين "رسالة الغفران" و"الكوميديا الإلهية".
- دراسة بنية العملين وأسلوبهما وموضوعاتهما.
- تحليل الشخصيات والأحداث والأفكار في كل منهما.
- الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين العملين.
- إثبات الأصول العربية والإسلامية للكوميديا الإلهية.
- التأكيد على تأثير الفلسفة العربية والأخلاق الإسلامية على دانتي.
- رصد التشابهات بين "الكوميديا الإلهية" وأعمال أدبية عربية.
- المساهمة في فهم التفاعل الثقافي بين الحضارة العربية والحضارة الأوروبية.

وعليه نطرح التساؤلات التالية:

- من هما كاتبا العملين الأدبين "رسالة الغفران" و"الكوميديا الإلهية"؟
- ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين "رسالة الغفران" و"الكوميديا الإلهية"؟
- ما هي العوامل التي ساهمت في تأثير "رسالة الغفران" على "الكوميديا الإلهية"؟

للإجابة عن هذه التساؤلات: اعتمد هيكل البحث على تقسيم محتواه إلى ثلاثة فصول رئيسية، مقدمة تواطئية ومدخل تمهيدي وخاتمة جامعة.

خصصت المدخل لتقديم نظرة عامة على مفهوم التأثير والتأثر في مجال الأدب

المقارن، تمهيداً للغوص في تفاصيل البحث.

أمّا الفصل الأوّل، فقد ركّز "على حياة أبي العلاء المعري وأعماله" مقسما إلى ثلاث مباحث:

– المبحث الأوّل: رحلة حياة المعرّي، مبرزا أهم الأحداث التي ميزت عصره.

– المبحث الثاني: استعراض أهم أعماله الأدبية مُحلّلَةً إبداعه وإسهاماته.

– المبحث الثالث: رحلة ابن القارح إلى السّماء في "رسالة الغفران" مكشفاً عن تفاصيلها ورمزيتها.

خصصت الفصل الثاني لدراسة "حياة دانتي أليجييري وأدبه"، مقسماً إلا ثلاثة مباحث:

– المبحث الأوّل: رحلة حياة دانتي، مبرزة نشأته وعصره.

– المبحث الثاني: استعراض أهم مؤلفاته الأدبية.

– المبحث الثالث: الغوص في تفاصيل "الكوميديا الإلهية" من خلال أجزائها الثلاثة: الجحيم، المطهر، الفردوس.

خصصت الفصل الثالث، للكشف عن "تأثير رسالة الغفران على الكوميديا الإلهية" مقسماً إلى ثلاثة مباحث أيضاً:

– المبحث الأوّل: تحليل أوجه التشابه بين العملين.

– المبحث الثاني: استكشاف أوجه الاختلاف بين "رسالة الغفران" و"الكوميديا الإلهية".

– المبحث الثالث: تفسير الغرض من "رسالة الغفران" و"الكوميديا الإلهية"، وكيفية ارتباطهما بالتأثير المتبادل بينهما.

وللإلمام بالموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي والكوميديا الإلهية لدانتي اليجييري ترجمة حسن عثمان، الكوميديا الإلهية، ترجمة حنا عبود، الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال، تأثير الثقافة

الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي لصلاح فضل، وغيرها من الدراسات الملمة بهذا الموضوع.

واجهت، كأيّ باحث بعض التحدّيات خلال رحلة إنجاز هذا البحث، ولعلّ أهمها ما يلي: ضيق الوقت وصعوبة الظروف أثناء الدراسة، على الرغم من هذه التحدّيات، حرصت على التغلب عليها خطوة بخطوة، مستعينة بعزيمتي وإصراري على إنجاز هذا العمل وإخراجه بأفضل صورة ممكنة.

لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدّم بوافر الشكر والتقدير لجميع من ساندني، أخصّ بالشكر والتقدير أستاذي المشرف **د. محمد عباسة** على صبره الجميل وتعاونه وتوجيهاته القيمة التي ساعدتني في إنجاز البحث على أكمل وجه.

كما أتقدّم بالشكر لوالدّي الكريمين على دعمهما المعنوي والمادي المتواصل لي في جميع مراحل الحياة.

***

المدخل

تمهيد:

ينشأ عن الاحتكاك بين الآداب ظاهرة التأثير والتأثر، التي تشير تساؤلات حول طبيعة العلاقات الأدبية وسبل انتقال التأثيرات.

يعدّ الأدب المقارن مجالاً معرفياً مختصاً بدراسة هذه الظاهرة، مما يساهم في فهمنا لتاريخ الأدب وتطوره، وتقدير ثراء التنوع الثقافي فيه، وإدراك العلاقات المعقدة بين مختلف الآداب، يتعدد تعريف الأدب المقارن، لكنه ظلّ علماً ذا طبيعة تاريخية، يهتم بدراسة مواطن التفاعل والتلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة عبر الزمن، من الماضي إلى الحاضر، ويركز على تبادل التأثيرات والتفاعلات بين مختلف الآداب، مما يساهم في فهمنا لتاريخ الأدب وتطوره، وتقدير ثراء التنوع الثقافي فيه.

وإدراك العلاقات المعقدة بين مختلف الآداب[1]، الحد الفاصل بين الآداب هو اللّغة، بمعنى كل ما يكتب ويُقرأ، بما يشمل الأفكار والخبرات الإنسانية. فعند التأثير والتأثر بين مختلف الآداب، يجب التركيز على النصوص المكتوبة، وتحليلها ضمن سياقها التاريخي والثقافي، لأنّ كل أدب قومي ينشأ بلغة محددة، فهو يتفاعل حتماً مع الآداب العالمية ويتشارك معنا في تبادل التأثيرات عبر الزمن، ولا يتشرط أن ينتمي المؤثر والمتأثر البيئة واحدة، فذلك قد يضيق نطاق الدراسة ويحوّلها إلى ملاحقة لعمليات "السرقات الأدبية" بل إنّ الأدب المقارن يتجاوز ذلك ليشمل دراسة تأثير أدب في أدب آخر من لغة مختلفة، مع تحليل مسارات هذا التأثير وتبيان آليات تفاعله. وبالتالي يمكن تعريف الأدب المقارن بأنّه العلم الذي يبحث عن ظواهر التأثير والتأثر في مختلف مستويات العمل الأدبي، بدءاً من الأفكار والموضوعات وصولاً إلى الأسلوب واللّغة، يشمل التأثير والتأثر في الأدب تبادل الأفكار والمشاعر والتقنيات بين مختلف الكُتّاب والتيارات الفكرية والأمم، عبر الزمن والمكان، ويشمل ذلك انتقال الأنواع الأدبية من ثقافة إلى أخرى، مما يُثري المشهد الأدبي

1 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، ط3، بيروت، 1978م، ص 14.

العالمي ويساهم في تطوّره.

فماذا يقصد بالتأثير والتأثر في الأدب؟

أ – لغة:

"يشير ابن منظور في لسان العرب إلى أنّ "التأثير" بشتى معانيه الاصطلاحية ينبثق من وجوده "أثر" يدل عليه. فالتأثير هو إبقاء هذا الأثر في الشيء، بمعنى ترك علامة مميزة تدل على وجوده، بغض النظر عن التغيير الذي قد طرأ على الشيء نفسه، وبالتالي لا يبقى من الشيء المؤثر سوء ذكراه وآثاره.

ويمكننا فهم "الخروج في أثره" على أنّه السير وَرَاءَ الشيء المؤثر أو اتباعه، بمعنى أنّ "الأثر" يُعد بمثابة العاقبة التي تترتب على الفعل، ويأتي بَعْدَهُ كدليل على حدوثه"[1]، بالنظر لطبيعة السياق الذي ورد فيه، فإنّ التأثير وأنماط تجليه بمعانيه اللغوية الواسعة يُحيلنا على وجود أثر لا يظهر جلياً إلاّ إذا تعقبناه.

يُشير فعل "أثر" إلى ترك أثر في شخص أو شيء آخر، مما يجعله الفاعل المسيطر، بينما "التأثر" يدّل على تلقي أثر من طرف آخر، مما يضع المتأثر في موضع سلبي، يمكن اعتبار "التأثر" بمثابة ردّ فعل انفعالية تجاه مؤثر خارجي، بينما يُمثل "التأثير" فعلاً إيجابيا يحدث تغييراً. نتيجة لذلك، يصبح المُؤثر هو الطرف الأصيل والمبادر، بينما يصبح المُتأثر تابعاً يتلقى التأثيرات"[2].

ب – اصطلاحًا:

يشير مصطلح "التأثير والتأثر" في الدراسات الأدبية المقارنة إلى عملية تفاعلية انتقائية، تسعى إلى إحداث تغيير مع الحفاظ على جوهر العمل الأدبي. كما يدلّ على أنّ العمل الأدبي هو نتاجٌ لتفاعل بين عناصر ثقافية متعددة ومتداخلة.

"يعدّ هذا المفهوم محورياً في جميع مناهج الأدب المقارن، على الرغم من اختلافات

1 – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010م، ج1، ص 53.

2 – ينظر، عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلة آفاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص 29.

في تحديد نطاقه أو تعدّد التفسيرات المقدّمة له.

يتمثل التأثير والتأثر في مسارين متمايزين:

الأوّل: ينتقل فيه التأثير من كاتب أو ثقافة إلى كاتب أو ثقافة أخرى.

الثاني: يتلقى فيه الكاتب أو الثقافة تأثيرات من آداب أجنبية بلغات مختلفة"[1].

تعد دراسة "التأثير والتأثر" حجر الزاوية في مجال الأدب المقارن. وتستند هذه الدراسة إلى أدلة تاريخية مثبتة تُظهر وجود تفاعلات ثقافية بين الأمم على مختلف الصعد الجغرافية ثقافية والثقافية والسياسية، كما تقدم أدلة قاطعة على وجود تأثيرات متبادلة بين الآداب، ممّا يدحض فكرة الاكتفاء الذاتي للآداب القومية واستقلالية تلك الآداب وتفردها، فلا يوجد أدب قوميّ بحث، بل إنّ جميع الآداب تتأثر وتتفاعل مع بعضها البعض، "وقد قدرت دراسات التأثير والتأثر كدحضٍ قاطع لادعاءات دعاة التعصب القومي في الأدب، الذين ينكرون تأثّر أدبهم بالآداب الأخرى.

فأصالة الأدب القومي وخصوصيته وتفرده ليست مطلقة بل هي محدودة نسبياً، وتشير الدراسات الأدبية المقارنة إلى أنّ الآداب في حالة دائمة من التفاعل والتبادل، وأنّها تتبادل التأثيرات وتتشارك العناصر الثقافية، على الرغم من اختلافات الزمان والمكان"[2].

يتكون أسلوب الكتابة من مزيج فريد من العناصر:

- **الإبداع الشخصي:** هو جوهر أسلوب الكاتب، ما يضفي عليه لمسة خاصة تميزه عن غيره.
- **التراث الثقافي:** تأثر الكاتب ثقافيه وأدبه الأصلي، ممّا تثري أسلوبه ويضفي عليه نكهة محلية.
- **التأثيرات الخارجية:** انفتاح الكاتب على ثقافات وآداب أخرى، ممَّا قد يؤثّر على أسلوبه

---

1 – ينظر، يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، الشركة العربية المتحددة، للتسويق والتوريدات، 2010م، ص 63.

2 – عبده عبود: الأدب المقارن، المرجع السابق، ص 27–28.

وصوره البيانية.

وعلى الرّغم من تأثّر الكاتب بعوامل خارجية أو بِكُتَاب آخرين، إلاّ أنّه يحافظ على بصمته من خلال إبداعه وطابعه الخاص.

يقول الأستاذ محمود عبّاس العقاد: "إنّ الأمم الشرقية والغربية جميعها دائنة ومدينة في تراث الحضارة الإنسانية، وأنّه ما من أمّة لها تاريخ مجيد إلاّ وقد أعطت كما أخذت من ذلك التراث"[1].

وكذلك في الأدب، ليس هناك عمل أدبي انفرد بالإبداع الكلي؛ نستنتج في الأخير أنّ "التأثير" في الشيء يتجلى في إبقائه على أثره وترك علامة مميزة تدل على وجوده، ممّا يؤكد على وجود علاقة بين المؤثر والمتأثر.

***

1 – عبّاس محمود العقّاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1965م، ص 179.

الفصل الأوّل:

ترجمة أبي العلاء المعرّي

تمهيد:

يعد أبو العلاء المعرّي أحد أهم الشخصيات في تاريخ الأدب العربي، ولقد أثر كثيرا في العديد من الشعراء والفلاسفة الذين جاؤوا من بعد، وهذا ما سوف نتحدث عنه في هذا الفصل حول حياته وأعماله بالإضافة إلى رسالة الغفران التي هي من أعظم كتب التراث العربي والنقدي وهي من أجمل مؤلفات المعرّي.

1 – حياته ونشأته:

أ – حياته:

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النّعمان بن عَدِيّ بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جُذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة التّنوخي المعرّي، اللّغوي الشاعر[1].

وُلد بالمعرَّة، يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (363هـ) ونشأ بها[2]، وقد ولد مبصرًا كما يولد سائر البشر، ولكنه ابتلي بصدمة فادحة، قبل أن تستقيم خطوطه الصغيرة على درب الحياة.

ومع ذلك نراه حامدًا لله عزّ وجلّ، حين قال: "أَنّا أَحْمَدُ الله على العَمَى، كَمَا يَحْمَدُهُ غَيرِي عَلَى البَصْر، وقد صَنَع لِي وأحسن بي، إذْ كَفَانِي رؤية الثَّقْلاَء والبَغْضَاءْ"[3].

---

1 – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خليكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ج1، ص 113.

2 – أبو علاء المعري: رسالة الصاهل والشاحج، دراسة فنية تحليلية مقدمة من أبو بكر الأمين القدم، 1998م–1999م، ص 12.

3 – أبو العلاء المعري: تعريف القدماء، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بإشراف د. طه حسين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط3، مصر، 1986م، ص 558.

ب – نشأته:

نشأ بالمعرّة، وأخذ النّحو واللّغة عن أبيه[1]، الذي يعتبر معلمه الأوّل، حيث رسم له الطريق في تحصيل العلم، وقال الشّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وأدرك العشرين فانكبَّ على سائر علوم اللّغة وآدابها[2].

وقد ذكر أحمد تيمور باشا في كتابه "أبو علاء المعرّي": "أنّه كان وافر البضاعة من العلم غزير المادة في الأدب، إمامًا فيه، حاذقًا بالنحّو والصرف، حافظًا لشواهد اللّغة، قوي الذاكرة وسريع الحفظ"[3].

نَهَلَ أبو العلاء المعرّي من معارف علماء المعرّة مثل: أبو بكر بن محمد مسعود النّحوي ويحيى بن مسعر التّنوخي، وانتقل إلى حلب وبها أخواله من آل سبيكة، واستمع إلى ما كانوا يرددون من علوم اللّغة والأدب والصرف، وكذلك بتلاميذ الفارابي وتلقّف منهم علومًا في الفلسفة[4].

يقال إنّ أولى رحلاته كانت إلى طرابلس الشام مدينة العلم والمعرفة، حيث خزائن الكتب الموقوفة، فاستفاد من علومها وكنوزها، ثمّ اتجه إلى بغداد، مدينة العلماء والفلاسفة عام 398هـ ومكث فيها عامًا وبعض الأشهر[5]، وتمكّن المعرّي من الاطلاع على فلسفة الهنود والفرس، ثمّ رجع إلى بلده المعرّة ولَزَم منزله وسمى نفسه (رهين المحبسين): العمى

1 – أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعري، مطبعة لجنة، القاهرة، 1359هـ–1940م، ص 16.

2 – كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج1، باب الألف، ص 189.

3 – أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعرّي، المرجع السابق، ص 22.

4 – ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، مديرية دار الكتب، الموصل–بغداد، 1410هـ–1989م، ص 281–282.

5 – صلاح الدين خليل بن أبيك الصّفدي: الوافي بالوفيات، دار صادر، ط3، بيروت، 1411هـ–1991م، ج7، ص 98.

والمنزل، وعَكَف على تدوين آرائه وأفكاره عازفًا عن ملذات الحياة زَاهِدًا دنياه[1]، يبدو أنّ صِدْقهُ وصراحته كانًا السبب في خلق العديد من المشكلات له، حيث تعرّض للاتهامات من قبل حساده وتحريض النّاس عليه، مما جعله يختار العزلة والانزواء في منزله، منقطعًا عن أكل اللّحم، ولا ما تولّد من الحيوان رحمة له وخوفًا من إزهاق النّفوس[2].

قبع أبو العلاء المعرّي تسعًا وأربعين سنة في محبسه بمَعَرّة النُّعْمَان، لم يتركه أبدًا، إلاّ مرة واحدة لم تتكرر حين اضطرّ للخروج مع قومه ليشفع لهم لدى أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب، وكان قد خرج إلى المعرّة ليوقف حركة عصيان أهلها[3].

امتنع أبو العلاء المعرّي عن الزواج، لسوء ظنّه بالنساء واعتقاده أنّ العفّة والإحصان فيهنّ نادرة، وشرّ على الرجل لأنّه يكلفه أثقالاً فنهى عنه[4].

ج – عقيدة المعرّي:

تضاربت الآراء حول عقيدة المعرّي، ولم يجزم أحد في معتقده فقد اتُهِم بالزّندقة والإلحاد، قال عنه ياقوت الحموي كان: "متهمًا في دينه يرى رأي "البراهمة" لا يرى إفساد الصورة ولا يأكل لحمًا ولا يؤمن بالرسل والبعث"[5]، وهذا الأمر يعود إلى عدة أسباب، أوّلها كثرة الملل والنحل في ذلك العصر تسرّب الآراء الغريبة عن الدّيانة الإسلامية، وثانيتها ثقافة أبي العلاء المعرّي التي امتدت إلى الكثير من تصانيف الفلاسفة والمتكلمين حول الخلق والحق والموت والنشور فأصيب بالحيرة فتستر عن إفشاء سر مذهبه الدّيني، ويرى عطا بكري: "كان أبو العلاء حذرًا من النّاس سيء الظّن بهم مشككًا بأمرهم واتجاهاتهم

---

1 – كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، المرجع السابق، ص 189.

2 – ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، المرجع السابق، ص 283.

3 – المرجع نفسه، ص 283.

4 – طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء المعرّي، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1958م، ص 300.

5 – حسين نصار: شرح اللزوميات لأبي العلاء المعرّي، تحقيق منير المدني وآخرون، الهيئة العامة للكتاب، 1993م، ج2، ص 30–31.

الفكرية"[1]، لذا استعمل الرمز والمجاز فكانت من أسباب غفلة حكام عصره على غرار ما لقي أمثاله من ذوي الغموض في الآراء، إلاّ أنّ هناك من عدّه زاهدًا عابدًا، فرأى فيه إنسانًا زاهدًا تقيًا يروض نفسه على الخشونة والإعراض عن الدنيا، ومقتنعا بفكره وتوجهه.

قال الصفدي: "ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللّحم تدينا لأنّه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا الحيوان، ففيه تعذيب له وهم لا يرون الإيلام في جميع الحيوانات"[2]. فحسب هذا الرأي يرجع مصدر قناعة المعرّي إلى صفات الزهاد مع الإتيان بالنّار من التجارب، وهذا يجعله في زمرة المذهب الإنساني المتطرّف المتمسك بثقافات مختلفة إنسانية، ومنه رأى البعض في فكره ومنهجه استخفافا بالديانة.

فحكى عنه الصفدي قوله: "القاضي أبو يوسف عبد السّلام القزويني قال لي المعرّي لم أهج أحدا قط، فقلت صدقت إلاّ الأنبياء عليهم السلام فتغيّر وجهه"[3]. هذا التغيير الذي أصاب المعرّي لفزعه من طريقة الاستهزاء به، ويحمل أيضًا النبرة الحادّة التي كانت بين القضاة والأدباء، وكذلك اتهم المعرّي بالإلحاد وفقد البصر والبصيرة، ولكن ابن العديم رفع عنه هذه التُّهم فقال: "رَمُوه بالإلحاد والتعطيل والعُدول عن سوء السبيل فمنهم من وضع على لسانه أقوالاً ملحدة ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده"[4].

لذلك فأرجح أنّ أبا العلاء المعري صاحب علم وشأن ووجاهة علمية، إلاّ أن إغراقه في الكثير من مشاكل القضاء والقدر والبعث ولده فكرة فساد الديانات.

د – وفاته:

يقول ابن خلكان: "وكان مرضه ثلاثة أيّام، ومات في اليوم الرابع، ولم يكن عنده غير

1 – عطا بكري: الفكر الديني عند أبي العلاء المعري، منشورات دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت، 1980م، ص 83.

2 – ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 114.

3 – ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ص 303.

4 – ابن العديم: الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري (ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء)، ص 484.

بني عمّه فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني الدوى والأقلام، فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزائكم في الشيخ فإنّه ميت، "فمات ثاني يوم"[1]. مات يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة [2].

2 – أعماله:

كان أبو العلاء المعّري بحرًا من المعرفة، فخلّف وراءه تصانيف تعكس سِعَة علمه وعمق تفكيره نذكر منها:

أ – رسالة الغفران:

وهي من أشهر مؤلّفاته، ألّفها في مرحلة انفراده، وهي رسالة فلسفية أدبية تخيلية يحكي فيها المعرّي رحلة إلى الجنّة والنّار، يلتقي فيها بالعديد من الشّخصيات من مختلف العصور والأديان، وكانت في ظاهرها ردًا على رسالة بعث بها إليه أحد أدباء عصره على يد منصور الحلبي الملقّب بابن القارح، رسالة الغفران من أبرز إبداعات أبو العلاء المعرّي في تصويرها ولغتها وأدبها وتعد علامة فارقة في تاريخ الأدب العربي، طبعت بمطبعة هندية بمصر سنة 1325هـ[3]، وقد ضَمَّتها فنونًا شتّى من اللّغة والأدب، واتخذ أسلوبًا فريدًا ومبتكرًا، فإنساب كلامه عن الجنّة كالنّهر العذب، يروي ظمأ القلوب، وغاص في تفاصيل عذاب النّار، فكشف عن بشاعتها وفظاعتها التي تثير الرّعب في النفوس[4].

ب – الصاهل والشّاحج:

يتكلّم على لسان فرس وبغل[5]، وعثر على نسخة من هذا الكتاب في المغرب[6].

---

1 ابن خلكان: وفيات الأعيان في أنباء وأبناء الزمان، المرجع السابق، ص 115

2 ياقوت الحمودي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 296.

3 – كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، المرجع السابق، ص 190.

4 – أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعرّي، المرجع السابق، ص 65.

5 – المرجع نفسه، ص 69.

6 – كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، المرجع السابق،

ج – سقط الزند:

هو ديوان شعري[1] علق عليه ياقوت قائلا: "كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدّهر الأوّل، يعرف بكتاب سقط الزند، وأبياته ثلاثة آلاف بيت"[2].

عمد المعرّي إلى شرح "سقط الزند" وتفسيره غريب، فألف كتابا سماه "ضوء السقط"، ونال الديوان اهتماما من بعده.

د – اللّزوميات:

وهو ديوان لزوم ما لا يلزم، ألزم فيه أبو العلاء نفسه – خلافًا لسائر الشعراء – ما لا يلام عليه إن تركه. ومعنى ذلك أن يجعل القافية على حرفي روي يلتزم بهما إلى إتمام القصيدة، ولم يكتفِ بذلك، بل جعلها مبنية. "على حروف المعجم، يذكر كل حرف على سوى الألف بوجوهه الأربعة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة والوقف"[3]، أي السكون.

لا ريب فيه من خلال هذا أنّ أبا العلاء المعرّي قد نظم ديوانه بعد عودته من بغداد ولزومه بيته في المعرّة، ويرى طه حسين أنّ هذا الالتزام هو: "شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته، بعد رجوعه من بغداد، فقد التزم في شعره ونثره وسيرته أشياء لم يلتزمها من قبل، ولم يكن من الحق عليه التزامها"[4]، ومنه فاللّزوميات يمثل أصدق تمثيل نضج التجربتين الشعرية والفكريّة عند أبي العلاء.

لجأ المعرّي إلى الألفاظ الغامضة والقوافي الغريبة للالتزام بما فرضه على نفسه في

ص 191.

1 – سقط الزند: هو ما يتطاير من الشرر عند إيقاد النّار باستخدام الزند، وهو عبارة عن قطعة حديدية تضرب بحجر صوان لخلق شرارة.

2 – ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المجلد 3، المرجع السابق، ص 397.

3 – ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 421.

4 – طه حسين: تجديد ذكرى أبو العلاء المعرّي، المرجع السابق، ص 55.

الديوان الذي "يحتوي على أحد عشر ألف بيت من الشعر"[1]، فلقي هذا الغموض انتقادا لاذعا، "وذلك أنّ بعض الجُهَّال تكلّم على أبيات من لزوم ما لا يلزم، يريد بها الشر والأذيّة"[2]، فجاء الرّد من المعرّي بكتاب سماه "زجر النابح" ثمّ عكف بعدها إلى شرح غريب اللزوميات بكتاب "راحة اللزوم" وفيه من أنواع الحكمة، ومسائل العلم أكثر مما في العهد الأوّل[3].

هـ – دراسات حول أبي العلاء المعرّي وكتبه:

– أوج التحرّي عن حيثية أبي العلاء المعرّي ليوسف البديعي.

– الإنصاف والتحرّي، في دفع الظلم والتحرّي، على أبي العلاء المعرّي لكمال الدين ابن العديم.

– أبو العلاء وما إليه لعبد العزيز الميمني.

– أبو العلاء المعرّي ناقد المجتمع لزكي المحاسني.

– أبو العلاء المعرّي لسامي الكيّالي.

– ذكرى أبي العلاء لطه حسين.

– مع أبي العلاء في سجنه لطه الحسين.

– أبو العلاء المعرّي، نسبه وأخباره وشعره لأحمد تيمور.

– رجعة أبي العلاء، لعباس محمود العقاد.

– كتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي للمجمع العلمي العربي بدمشق[4].

---

1 – ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 422.

2 – المرجع نفسه، ص 422.

3 – محمد سليم الجندي: نقلاً عن موسى باشًا، عمر، نظرات جديدة في غفران أبي العلاء، دار طلاس، ط1، دمشق، 1989م، ص 24.

4 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، تحقيق درويش جويدي، شركة أبناء شريف الأنصاري، صيدا– بيروت، 1427هـ/2006م، ص 9–10.

3 – ملخص رسالة الغفران:

أ – وقفة تعريفية لرسالة الغفران:

يعدّ كتاب رسالة الغفران من أشهر الأعمال الأدبية التي ألّفها المعرّي في النثر، "ويعدها الكثير من النّقاد من أعظم كتب التراث العربي النقدي، كتبت بأواخر حياة أبي العلاء المعرّي فتاريخ وضعها يظهر من كلام أبو العلاء فيها أنّه وضعها نحو سنة 424هـ فقد أملاها صاحبها وهو في السّتين من عمره"[1].

"وهي تأخذ صورة رسالة إخوانية من الرسائل الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة، يقع الكتاب في ثلاثمائة كتابة من الصفحات المتوسطة الحجم مما يناهز الواحدة والستين ألفا من الكلمات"[2]، وقد أملاها أبو العلاء المعرّي أثناء عزلته رهينًا، وتعد الرسالة ردًا على الرسالة التي وجهها إليه الشيخ الأديب علي ابن منصور الحلبي، المعروف بابن القارح، يسأله فيها عن جملة من الأمور منها الأدب، والنّحو، والتصوف والسيرة النبوية وغيرها، "فقد كتبت الغفران في مقام رد على ابتلاء، وهي جوابية لا تختلف من حيث المقام الأدبي عن سائر الرّسائل التي تقوم على التخاطب الثنائي والتوعية في مختلف مراحله الكتابية"[3]، "بدل الإجابة برسالة عادية جعله المعرّي يصعد إلى السّماء ليرى الأحكام الإلهية كيف تكون، ويسأل ابن القارح المخلدين في الجنّة، بما غفر لكم؟ وأصحاب النّار بما لم يغفر لهم؟ وسميت برسالة الغفران نتيجة لكثرة ما ورد من أسماء الغفران"[4].

تبدأ الرسالة بمقدمة غير مألوفة يستطرد فيها أبو العلاء في رحلة خيالية إلى العالم

---

1 – محمد سليم الجندي: الجامع في الأخبار، أبو العلاء المعري، دار صادر، ط2، بيروت، 1992م، ص 743.

2 – سناء شعلان: مقاربة بين رسالة الغفران للمعرّي والكوميديا الإلهية لدانتي، مجلة عود النّد، عدد 22، سنة 2008.

3 – صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر القديم، دار الفارابي، بيروت، (د.ت)، ص 128.

4 – شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط1، ص 276.

الآخر مستعرضًا قدرته اللّغوية والأدبية وقد صاغ فيها خلاصة فلسفته في الحياة.

ب – أسباب ودوافع الكتابة:

"نستطيع القول إنّ الرسالة لمرتكن لتوضع في تاريخ الأدب لو لم تكن سببًا لخلق رسالة الغفران"[1]. وهي بدورها قسمان:

– رواية الغفران:

نسج خيال المعرّي حكاية أسرة، حيث تخيل فيها مغفرة الله لابن القارح يوم القيامة، فانفتح له باب الجنّة قد خلها فرحاً مسروراً، يطوف في جناتها الفسيحة، يتنعم بجمالها، ويشرب من أنهارها...

في رحلته المباركة، التقى ابن القارح يجمع من شعراء الجاهلية والإسلام، أمثال زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت، أحاط بهم وسألهم عن سر نيلهم الغفران وكيف حظوا بنعيم الجنّة الخالدة.

فأجابوه بكل عطف، شارحين له فضائل الإيمان والعمل الصالح، والتوبة النصوح، والصدق والأمانة، والكرم والعفو... استمع ابن القارح بشعف لكلماتهم الحكيمة، وهكذا عاش ابن القارح في جنّة الخلد، يغسل ذنوبه بماء التوبة وضياء الإيمان.

وسميت هذه الحكاية بـ"رسالة الغفران" لكثرة ما تردد فيها من ذكر الغفران ومشتقاته، مما يعكس موضوعها الحقيقي ألاّ وهو مغفرة الله لعباده المؤمنين.

– الرد على القارح:

أمّا الرد على ابن القارح فيتضمن تحليلاً لبدع العصر ومذاهبه، فيوافقه أبو العلاء في بعضهم ويدافع عن بعضهم الآخر.

الرسالة الغفرانية من إبداعات أبى العلاء المعرّي وتمثل رحلة نقدية عميقة في مجالات اللّغة والنحو.

---

1 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، مقدمة الناشر، دار بيروت للنشر، بيروت، 1980م، ص 9.

ينطلق المعرّي في رحلته هذه من خلال حوارات شيقة مع كبار الشعراء، حيث يطرح عليهم أسئلة حول ألفاظ وردت في أشعارهم باحثًا عن المعاني المقصودة ودلالاتها العميقة.

تتميز رسالة الغفران بتنوعها الثري، وفي مزيج من القصص والوصف والنقد، مزخرفة بعلم وفلسفة وتاريخ ودين، تقدم لنا القصص رحلة حافلة بالحوارات، لكن قد يراها البعض مملة، بينما يغرقنا الوصف في عوالم خيالية ساخرة، ويشكل النقد عنصراً هاماً في الرسالة حيث يتناول الأدب والدين والتقاليد بكل جرأة، أمَّا العلم والفلسفة والتاريخ، فتصل بحراً واسعاً من المعرفة يغوص فيه المعرّي ببراعة.

ولا يكتفي المعرّي بالنقد الفكري، بل يسلط الضوء أيضاً على الناحية الاجتماعية عند بعض الشعراء خاصة الإسلاميين والعباسيين منهم كأبي نواس.

عرض أبو العلاء الشعر المنسوب إلى آدم والجن وكان في كل موضوع وفي كل موقف ساخراً متهكماً، لاذع السخرية، يلتزم الجناس والأمثال تقوله: هل كان رجم النجوم في الجاهلية؟ فإنّ بعض الناس يقول إنّه حدث في الإسلام[1].

ج – مصادر تأثر رسالة الغفران:

قبل الغوص في تناصات رسالة الغفران، ينبغي تسليط الضوء على المنابع الفكرية والثقافية المتعددة التي أثرت فيها، والتي استقتها من حضارات وثقافات متعددة وفكر إسلامي غني.

فقد سبقت المعرّي نتاجات كثيرة أهمها: (الأوديسة لهوميروس، الإنياذة لفرجيل، كوميديا الضفادع لأرسطوفانيس)، ثمّ مصادر إسلامية وفي مقدمتها نذكر الإسراء والمعراج، الزوابع والتوابع.

"إذ إنّ رسالة الغفران وما صدر قبلها من إبداعات يونانية قديمة في مجال أدب الآخرة كان مثالاً لعوامل التأثير والتأثر في الآداب العالمية، تميزت رسالة الغفران بجانب

1 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، مقدمة الناشر، المرجع السابق، ص 148.

استفادتها من روافد فكرية وثقافية عالمية، باستلهامها لمفهوم الإسراء والمعراج من المصادر الإسلامية، بالإضافة إلى توظيف تقنيات أدبية متنوعة، سواء كانت مستمدة من تراثه الإسلامي أو من مصادر أخرى أيضاً قامت بمحاكاة التوابع والزوابع لابن شهيد، وعليه نستطيع القول إنّها ولدت من رحم المصادر التراثية والأجنبية"[1].

- أثر الأدب اليوناني:

تعرض المعرّي في حلب واللاذقية وأنطاكية لتأثير ثقافي عميق من الحضارة اليونانية، مما انعكس على أفكاره ومواقفه، ونرى هذه التأثير في أكبر أعماله الأدبية "رسالة الغفران"، حيث قال لويس عوض: "لقد كانت أنطاكية واللاذقية بصفة خاصة وحلب إلى حد ما من مراكز الثقافة الهيلينية في عصر المعرّي سواء بالمجاورة أو الاحتلال، وهذه هي البلدان الثلاثة التي تلقى فيها تعليمه الرسمي حتى تجاوز من العشرين وتنقل بينها حتى رحلته البغدادية وهو في الخامسة والثلاثين"[2].

وعليه نجد أثر الملاحم اليونانية كالأوديسة والضفادع كان موجودًا أو واضحاً في أعماله بالأخص رسالة الغفران. "تعد ملحمة الأوديسة لهوميروس أقدم عمل غربي أدبي يتضمن وصفاً تفصيلياً متقناً لعالم الآخرة، بما في ذلك الجحيم والنّار والجنّة ونعيمها، وهوميروس جعل أوديسيوس (بطل الأوديسة في مغامراتها)"[3]، ويختار المعرّي شخصية ابن القارح ليكون بطل رواية "رسالة الغفران"، "حيث يصعد به إلى الجنّة ويروي لنا تفاصيل رحلته وحواراته مع كبار شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى عصره، وما بعد الأوديسة ظهرت كوميديا الضفادع (لأرسطوفانيس)، وهي من أقدم النصوص التي صورت رحلة الإنسان للعالم الآخر"[4]، موضوع الضفادع يدور حول الموازنة بين الشعراء بالأخص

1 - مجلة كلية التربية للبنات، مجلد 25، العدد 4، 2017م، ص 1145-1146.

2 - لويس عوض: على هامش الغفران، ص 137.

3 - المصدر نفسه، ص 15-16.

4 - المصدر نفسه، ص 47-49.

شاعري التراجيديا (أسخيلوس وأوربيديس)، هزّت وفاة أوربيديس إله الخمر والدراما فحرن حزنا شديداً، واتخذ قراراً بالنزول إلى الجحيم، ليعود به إلى الحياة مجدداً، إلاّ أنّه عاد بأسخيلوس لأنّه عميق التدين على عكس أوربيديس كان من أشياع سقراط والشكاكين"[1]، أسخيلوس في دينه كان قريب الشبه بابن القارح بتطرقه الديني وتكفيره لأقدم شعراء الجاهلية متهمًا إيّاهم بالزندقة.

- أثر قصة الإسراء والمعراج:

جعل أبو العلاء القرآن الكريم وقصة الإسراء والمعراج مصدرين أساسيين في المشاهد الآخروية التي جسدها في قسم الرحلة من غفرانه، لم يختفِ التصوير القرآني إلاّ في لحظات قليلة أطلق فيها المعرّي، العنان لتخييله المبتكر.

بدأ معراج نبينا – صلى الله عليه وسلّم بإذن الله تعالى – من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه إلى سدرة المنتهى قبل الهجرة بستين، وصرح القرآن الكريم رد بهذا الحدث فيقول الله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾[2].

في ليلة مباركة، أسرى الله نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلّم – من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف، رافقه في رحلته السماوية جبريل عليه السلام، ليسافر به عبر طبقات السماء السبع، ليشهد عظمة الخالق وقدرته، في كل سماء التقى النبي الكريم ببعض الأنبياء والمرسلين، ففي الأولى قابل آدم عليه السلام، وفي الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام، ومن ثمّ انتهت رحلة المعراج إلى سدرة المنتهى وهي أقصى

1 – المصدر نفسه، ص 49–50.

2 – سورة الإسراء، الآية 1.

غاية يبلغها الملائكة وفق قوله تعالى: ﴿ لَقَد رَأَىٰ مِن ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلكُبرَىٰٓ ١٨ ﴾[1].

تعددت الروايات والأحاديث حول قصة الإسراء والمعراج، واختلفت الأقوال حول زمانها ومكانها، وتعود أقدم صياغة قصصية للحدث إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين، وقد أضاف إليها المؤرخون وكتاب السيرة تفاصيل أخرى، مما جعلها من أهم المعجزات التي أثرت في الأدب الإسلامي.

فقد تحوّلت عناصرها إلى أعمال أدبية أو رموز غنية في مختلف الأعمال الأدبية ذات القيمة بدرجات متفاوتة[2].

وكانت رسالة الغفران أشهر أثرا استلهم قصة المعراج، فاستقراء ما جاء في الرسالة يكشف التأثر الواضح بالحادثة، "فرسالة الغفران ما هي إلاّ رحلة خيالية إلى الجنّة والنّار، ورصد المرئيات والمشاهدات المتخيلة في نسق تعبيري يقترب من نص الحديث... ليؤكد على أنّ أبا العلاء المعرّي قد وقع متأثراً بما ورد في قصة الإسراء والمعراج كنص أدبي"[3].

يتضح اعتماد المعرّي في "رسالة الغفران" على الخيال الخصب، مستوحى من المصادر الإسلامية، لخلق عالم فريد من نوعه للجنّة والنّار، حيث صوّر شخصيات أدبية وشعراء من مختلف العصور، ونصب نفسه قاضياً في هذا العالم الخيالي، كما كانت له الجرأة أحياناً على بعض المعايير الدينية مما أثار حوله الجدل[4].

- أثر التوابع والزوابع:

تعتبر رسالة التوابع والزوابع تحفة أدبية فريدة من نوعها تتألق بروحانيات المعراج النبوي على قلم الكاتب المبدع عامر بن شهيد المعروف بـ"ابن شهيد الأندلسي" (382هـ-

1 - سورة النجم، الآية 18.

2 - ينظر، جمال مقابلة: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، بين الأدب والدين، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، العدد 25، 2010م، ص 202.

3 - محمد الخالدي: الإبداع والتجربة الروحية، رؤية مغايرة، كتاب الجهورية، ص 154.

4 - ينظر، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ص 204.

426هـ)، تندرج الرسالة ضمن قائمة الجنس القصصي الذي استلهم معالمه من التراث الإسلامي، حكايتها عن سفر خيالي إلى عالم الجن بطلها زهير بن نمير، سمّاها ابن شهيد التوابع والزوابع، فالتابع هو الجن وتتبعه الزوبعة العاصفة وأيضاً هي اسم رئيس الجن، ففيها يلتقي بشياطين الشعراء وتجري بينهم مناظرات، وكذلك بينه وبين ما يجده من مخلوقات في عالمهم، فقد قارن الكثير من الباحثين الرسالتين ببعضهم البعض واختلفت الآراء، منهم من يقول أنّ أبا العلاء تأثر بابن شهيد والصنف الآخر يقول العكس.

يرى بعض الباحثين أنّ كلا من ابن شهيد والمعرّي قد انطلق من ينابيع فكرية مشتركة، واستقى أفكاره من معين واحد، ويتجلى ذلك التشابه بوضوح في البنية الفنية لأعمالهما، حيث تتخذ كل من "التوابع والزوابع" لابن شهيد و"رسالة الغفران" للمعري شكل رحلة رمزية، تبدأ في العالم الحسي وتنتهي في عالم غيبي لا تدركه الأبصار، تشترك كل من "التوابع والزوابع" و"رسالة الغفران"، في كونهما ينتميان إلى الإطار الإسلامي ويحملان بصمات الإسراء والمعراج بشكل جلي، ويتلاقى الكاتبان في توظيف الخيال والأوصاف، كما يضفى عليهما طابع السخرية.

ونجد في كلتا الرسالتين استعراضاً واسعاً لثقافة الكاتب ومعرفته، وبالإضافة إلى عرض آرائه في الأدب واللّغة، بينما اختلفا في اللّغة، فلغة المعرّي لا تخلو من التعقيد، وإغراء وسجع ملتزم، ولغة ابن شهيد سلسلة بعيدة عن التكلف والصنعة.

يشير بعض الدارسين إلى أنّ "التوابع والزوابع" لابن شهيد قد سبقت "رسالة الغفران" للمعرّي بنحو عقدين من الزمن، ويستندون في ذلك إلى إشارات ضمنية في "التوابع والزوابع" تدل على تأليفها في عهد الخليفة الأموي سليمان بن الحكم، والذي امتدت خلافته من سنة 400هـ إلى 407هـ، بينما تشير بعض فقرات "رسالة الغفران" إلى أنّ المعرّي قد ألفها في سن السبعين، أي حوالي سنة 422 هجري، وعلى هذا تكون "التوابع والزوابع" كتبت قبلها

نحو عشرين سنة[1].

توصل الدكتور زكي مبارك إلى دليل آخر يثبت تأثر أبي العلاء بابن شهيد، وذلك من خلال ربطه بين تاريخ كتابة "رسالة الغفران" (حوالي 424هـ) ووفاة ابن شهيد (426هـ) بعد صراع طويل مع المرض، مما يدل على كتابة رسالة أبي العلاء قبل وفاة ابن شهيد بسنوات طويلة، قدّر الدكتور مبارك مدتها بعشرين عاماً على الأقل، ويعزز هذا الربط المنطقي استنتاج تأثر أبي العلاء بأفكار ابن شهيد، لأنّ رسائله ذاعت في المشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت ابن شهيد وقبل ظهور رسالة الغفران[2]، ويؤكد الدكتور زكي مبارك على وضوح تأثير ابن شهيد على أبي العلاء، وذلك من خلال تشابه موضوعات أعمالهما، حيث يعتمد كلاهما على أسلوب القصص والحوار لعرض القضايا الأدبية والفكرية، كما تتشابه مصادر إلهامهما إلى حد كبير، فبينما تستمد "التوابع" مادتها من التراث العربي الأسطوري، نجد أنّ "رسالة الغفران": "تستقي إلهامها من التراث الديني، وبخاصة القرآن الكريم، مع التركيز على قصة الإسراء والمعراج، بالإضافة إلى الأساطير العربية والملاحم التاريخية اليونانية، فيما يخص المسرح فيتفق في كونه عالم غيبي ويختلف عند ابن شهيد في كونه واد الجن بأرض الدنيا وعند أبى العلاء واد الإنس في الآخرة. أمّا بالنسبة للشخصيات عند ابن شهيد جنّ يسخرون النّاس، ولدى أبي العلاء أنس تسخرهم الملائكة والشياطين"[3].

يشير التناقض في بعض مواضع الرسالتين، مع وجود تشابه واضح في الموضوع الرئيسي إلى احتمال تأثر إحداهما بالأخرى، كما قال البيومي: "ولن تجد موطناً أفسح ولا أوسع من رحلتين خياليتين قامت أولهما في الأرض السابعة، وارتفعت أخراهما إلى السماء العالية ثمّ ألاّ يكون هذا التناقضات المعارض دليل التأثر الواضح حين يذكر الشيء بنقيضه،

1 – أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953م، ج3، ص 290.

2 – زكي مبارك: النثر الفني، ج1، ص 259.

3 – المرجع نفسه، ص 602.

كما يذكر بمثيله على السواء"[1].

من المحتمل أن تكون "رسالة التوابع والزوابع" لابن شهيد قد أثرت على أبي العلاء المعرّي في تأليف "رسالة الغفران"، مع اختلاف مسرح الأحداث بينهما، فبينما تدور أحداث "الرسالة" في عالم الجن، تدور أحداث "الغفران" في عالم الآخرة. ويرجح أن يكون كل من الكاتبين قد استلهم عمله من معجزة الإسراء والمعراج.

د – أبعاد مضامين رسالة الغفران:

– البعد العقدي:

على الرغم من سمو مكانة أبي العلاء بين شعراء عصره، فقد آثر الابتعاد عن بلاط الملوك والحكام، وحافظ على لسانه من التلوث بمدحهم، خاصة بعد تجربته في بغداد، ومن برج عزلته، كان أبو العلاء يتابع عن كتب مسار المجتمع متقشفاً عن زخارف الحياة، ناقداً لكل ما يخالف مبادئه مجاهداً لكل ما يراه مخالفاً لأفكاره.

كان أبو العلاء يدين بمعتقده الخاص الذي يوافق طبيعة تكونية الشخصي، واستخدم "رسالة الغفران" كمنصة لنقد السلطة والثروة، مستخدماً أسلوب التلميح والتصريح، فقد تناول مصير الملوك وذويهم في الآخرة، مبرزاً عاقبة ظلمهم وصولاً إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، الذي جعله ينادم شاعر التغلبي في الجحيم.

وصف تميم بن أبي مقبل في حديثه لابن القارح عن هول ما واجهه الملوك في الحساب وهم يواجهون مصيرهم العادل، يقول: و"منادي الحشر يقول: أين فلان بن فلان، والنسوة ذوات التيجان يُصَرْن بألسنة من الوقود، فتأخذ فروعهنّ وأجسادهنّ فيصحن، هل من فداء؟ هل من عُذر يقام؟ والشباب من أولاد الأكاسرة يتضاغون في سلاسل النّار ويقولون: نحن أصحاب الكنوز، نحن أرباب الفانية"، فهتف داع من قبل العرش: ﴿ وَهُم يَصطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخرِجنَا نَعمَل صَٰلِحًا غَيرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعمَلُ أَوَ لَم نُعَمِّركُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ

1 – محمد رجب البيومي: الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، ص 186–187.

وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾[1]. وقيل لكم في الكتاب: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوما تُرجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّه ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفس مَّا كَسَبَت وَهُم لَا يُظلَمُونَ ٢٨١﴾[2]، "بينما انغمستم في متع الحياة الفانية غافلين عن الآخرة، وما ينتظركم فيها، حان الحساب، وفتحت أبواب العدالة، فلا ظلم اليوم، فالعدالة الإلهية ناطقة"[3].

خصص المعري هذا المشهد للملوك وعائلاتهم، مستخدماً أوصافاً تدل على جبروتهم وسلطتهم، مبرزاً جانباً من سلوكهم في محاولة تبرير أفعالهم، فقد تعودوا على شراء ذمم النّاس بأموالهم، معتبرين أنفسهم أرباب الدنيا وأصحاب الكنوز، يعطون منها ويمنعون حسب رغباتهم، وينفقونها على النساء ذوات التيجان.

يقابل أبو العلاء صورة الملوك في الدنيا، حيث يتمتعون بالسلطة والثروة، بموقفهم في الآخرة، حيث يُعذّبون من قبل الزبانية دون انتظار للحساب، فكأنّ الأمر الإلهي قد نزل عليهم، وعلم كل منهم مصيره الأبدي.

يهيمن مشهد التعذيب في الآخرة على رسالة الغفران، ليعكس نقمه الله تعالى على الملوك دون استثناء، فكأنّ المناصب السياسية في نظر المعرّي، تُجسد الظلم والجبروت، ويمكن قراءة هذا المشهد تشكل من أشكال الانتقام الأدبي من هذه الفئة، ونظير ذلك في غير النثر، قوله في لزومياته[4]:

ساسَ الأَنامَ شَياطينٌ مُسَلَّطَةٌ في كُلِّ مِصرٍ مِنَ الوالينَ شَيطانُ
مَن لَيسَ يَحفِلُ خَمصَ الناسُ كُلِّهُمُ إِن باتَ يَشرَبُ خَمراً وَهوَ مِبطانُ

تتضاعف حدة نقد المعرّي للملوك عند مقارنة عذابهم في رسالة الغفران، بعذاب إبليس في الجحيم، فكأنّ المعرّي يعتبر الملوك أسرارًا مثل الشيطان، ويستحقون العقاب ذاته:

1 – سورة فاطر، الآية 37.

2 – سورة البقرة، الآية 281.

3 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 247–248.

4 – أبو العلاء المعرّي: اللزوميات، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1986م، ص 352.

"فهو يضطرب في الأغلال والسلاسل، ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية"[1].

في مقابل هذا السّخط المفرط على الظالمين من الحكام والملوك يدعو أبو العلاء النّاس التأني في مواجهتهم، ومجابهة الأخطار وفق منهجه الذي رسم حدوده في لزومياته[2]:

يَقولُ لَكَ العَقلُ الَّذي بَيَّنَ الهُدى إذا أَنتَ لَم تَدرَء عَدُوّاً فَدارِهِ

وَقَبِّل يَدَ الجاني الَّذي لَستَ واصِلاً إلى قَطعِها وَانظُر سُقوطَ جِدارِهِ

يخفي المعرّي رفضه لجور الملوك والجبابرة تحت ستار المداراة، مُدركاً أنّ الصراحة قد تعرّضه للبطش، فهو يدرك أنّ الثورة الحقيقية تكمن في إخفاء شعلة الرفض حتى لا تخبو، واستغلال الفرصة المناسبة. لإشعالها من جديد.

جعل أبو العلاء المعرّي من العقل ركيزة أساسية للمعرفة، مناهضاً بذلك أنصار التقليد والتلقين، ودعا إلى التحرّر من قيود المعتقدات المسبقة، وعرض أصولها على ضوء العقل والنقد فهو يخشى: "أن تجد الرجل حاذقاً في الصناعة، بليغاً في النظر والحجّة فإذا رجع إلى الدّيانة ألفي كأنّه غير مقتاد، وإنّما يتبع ما يعتاد"[3].

يشدّد أبو العلاء على ضرورة البحث عن الحقيقة من مصادرها الأصلية، ورفض التلقين دون تمحيص، فيقع: "في شر اعتقاد وإن أودع وديعة خان، وإن سُئل عن شهادة مَانَ، وإن وصف لعليل صفة، وما يحفل أقتله بما قال: أم ضاعت عليه الأثقال، بل غرفهُ فيما يكتسب، وهو في الحكمة منتسب"[4].

يُكشف المعرّي زيف التّدين الذي يتظاهر به أصحاب المذاهب، ويؤكدّ على أهدافهم الخبيثة في استغلال عوام الناس للمصالح الشخصية فبلاد اليمن – على حسب رأيه – مازال: "معدنا للمكتسبين بالتّدين والمحتالين على السّحب بالتّزين... وأنّ به اليوم جماعة

1 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 309.

2 – أبو العلاء المعرّي: اللزوميات، المصدر السابق، ص 359.

3 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 463.

4 – المصدر نفسه، ص 465.

كلهم يزعم أنّه القائم المنتظر: فلا يعدم جباية من المال، يصل بها إلى حسيس الآمال"[1].

لا تقتصر ظاهرة النفاق على اليمن فقط، بل تنتشر في جميع أنحاء الأمة الإسلامية.

يشدّد المعرّي على أنّ العديد من الفرق الإسلامية أصيبت بالجمود الفكري والركود العقلي، وفقدت قدرتها على التمييز والابتكار ومن هؤلاء بعض أتباع "الإماميّة"، فهو يرى: "أنّهم تقرّبوا بالتعفير، فعدّه بعض المتدينة ذنباً ليس بغفير، ويحضر المجالس أناس طاغون، كأنّهم للرّشد باغون، وأولئك – علم الله – أصحاب البدع والمكر"[2]، "يسخر المعرّي من سذاجة بعض أتباع الشيعة اللذين يصدقون الروايات المختلفة دون تمحيص أو تفكير"[3]، (الأمام جعفر الصادق): "عن رجل ارتدّ وطعن في معتقداتهم"[4].

"يُسخر المعرّي من معتقدات المعتزلة بشأن العقاب الأخروي، ويؤكدّ على أنّهم أكثر استحقاقاً للعقاب من غيرهم لأنّهم يقترفون من الكبائر ما شاؤوا دون رادع فـ"كم من متظاهر باعتزال، وهو مع المخالف في نزال، يزعم أنّ ربّه على الدّرة يُخلد في النّار، وما ينفك يحتقب من المآثم عظائم، ويقع بما في أطائم، وينهمك على الفسق"[5].

يؤكد المعرّي على أنّ سلوك بعض المعتزلة لا ينبع فقط من معتقداتهم المذهبية، بل يشير أيضاً إلى وجود أسباب أخرى تفسر هذا السلوك "عن إمام لهم يوقر ويتبع كأنّه من الجهل ربع، أنّه كان إذا جلس في الشرب ودارت عليهم المُسْكِرَة ذات الغرب، وجاده القدح شرب واستوفاه وأشهد من حضره على التوبة لما اقتفاه"[6]، على الرغم من تعصب أبي العلاء إلاّ أنّ سخريته جعلت آرائه تتسم بالتعميم والشمولية حتى ضاع بينها وضوح القصد.

---

1 – المصدر السابق، ص 442.

2 – المصدر نفسه، ص 465.

3 – جعفر بن محمد الصادق: هو من الأئمة الاثني عشر، المصدر نفسه، ص 467.

4 – الرّجل هو "عبد الله بن ميمون القدّاح"، الذي ادّعى النبوة، ومات حوالي سنة 260هـ، المصدر نفسه، ص 467.

5 – المصدر نفسه، ص 465.

6 – المصدر نفسه، ص 466.

- البعد المعرفي:

تعكس رسالة الغفران الحالة النفسية والمواقف التي عاشها أبو العلاء في حياته، ممزوجة بمشاعره وانفعالاته تجاه الظروف المختلفة التي مرّ بها، ولعلّ هذا ما دفعه إلى جعل الرحلة إلى عالم ما بعد الموت محوراً لأحداث الرسالة.

انتقد المعرّي كل ما يدعو إلى الجمود وتصديق الأساطير "وعمق المنهج العقلي في بيئة تقيم علومها وآدابها وفنونها على النّقل فقدّم أدبًا يقاس بمقاييس التراث الإنساني ولا يقاس بمقاييس أمته وظروفها"[1].

انتقد المعرّي سذاجة النّاس العاديين في تصديقهم أي شيء يروى لهم، حتى لو كان خرافات لا تستند إلى أي أساس من الحقيقة، هذا ما جعله يؤخذ ابن القارح من الجحيم إلى جنة العفاريت لينشئ حوارا بينه وبين الجن. يبدأ ابن القارح بسؤال الجني عن اسمه، فيقول الجني: "أنا الخيتعور أحد بني الشيصبان، ولسنا من ولد إبليس ولكننّا من الجن الذين يسكنون الأرض قبل ولد آدم صلى الله عليه"[2].

ثمّ يسأل ابن القارح عن أخبار أشعار الجن التي جمع منها قدراً غير يسير "المرزباني" في كتابه، "في أشعار الجن"، وفي هذا إشارة إلى شيوع أخبار الجن بين الأدباء.

يسخر المعرّي بشكل إبداعي من القصص والروايات التي يرويها الرواة للنّاس العاديين، والتي تضفي على الجن قوة خارقة في القول والفعل، حيث سأل ابن القارح الجني عن سر بقائه أشيب على خلاف أهل الجنّة، فيجيبه الخيتعورة: "إنّ الإنس أكرموا بذلك وأحرمناه، لأنّ أعطينا الحولة في الدّار الماضية فكان أحدنا إن شاء الله صار حيّة رقشاء، وإن شاء صار عصفوراً وإن شاء صار حمامة، فمنعنا التّصور في الدار الآخرة وتركنا على خلقنا لا تتغير، وعوّض بنو آدم كونهم فيما حَسُن من الصور، وكان قائل الإنس يقول في

---

1 - نافع عبد القادر: المعرّي وأزمة الشاعر المثقف، مجلة البصائر، جامعة البنات الأردنية الأهلية، المجلد 2، العدد 1، ذو القعدة 1418هـ/1998م، ص 71.

2 - أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 291.

الدّار الداهية: أعطينا الحيلة، وأعطي الجن الحولة"[1].

من خلال هذا الحوار ينتقل المعرّي للحديث عن "الشعر"، فيأتي بقصيدة "سينية" على لسان الجني، رصد فيها عجيب الألفاظ حتى يضفي عليها جوًا من الغرابة يوهم بها القارئ أنّها من نظم مخلوق من غير بني البشر استخدم أفعالاً قوية تغير عن الفكرة وأطلق العنان لقدراته الشعرية. فانبهر ابن القارح وسحر بجمالها، بلغت القصيدة سبعة وستين بيتاً، ويدعم هذا طه حسين، حيث يقول: "ورسالة الغفران مملوءة بالسّخرية المؤامة من الجن والملائكة جميعاً، وقد قدّمنا أنّه نظم الشعر في رسالة الغفران على ألسنة الجن الذين دخلوا الجنّة، فقال بسخرية:

مكَّة أقوت من بني الدَّردبيس فما لجنِّيٍّ بها من حسيس

وهي قصيدة طويلة سلسة مليئة بالأساطير، وتضمنت ما شاع بين النّاس من حكايات عن الجن"[2]. "اتخذ أبو العلاء في كتاباته سواء شعرية أو نثرية، نهجاً واحداً وهو التفرقة بين العقل الحقيقي الذي ينبع من المعرفة الحقيقة والعقل المزّيف الذي يتكون من معارف يقبلها المجتمع دون تمحيص"، وينزاح ذلك الصّدأ الفكري الذي، "يحول بين الفرد والفكر الصحيح وينبع من مخالطة العقل للأباطيل والمسلّمات والأفكار والفلسفات التي تتراكم عليه مثل صدأ كثيف"[3].

تميز المعرّي بموقفه المعارض للتفسير المطلق للنصوص الدينية ودافع عن حرية التفكير والبحث عن الحقيقة من خلال التساؤل النقدي وبخاصة المعرفة الدينية، ومن هنا "يكشف عن المكبوت في عصره، ويدعو إلى التفكير في ما لا يُتاح بيسر التفكير فيه، إنّه رمز للخروج عن المذهبيات أيا كانت واليقينيات من أيّة جهة أنت"[4].

---

1 – المصدر نفسه، ص 293.

2 – طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء المعرّي، المرجع السابق، ص 269.

3 – الشيخ العلايلي عبد الله: المعرّي ذلك المجهول، دار الجديدة، ط3، بيروت، 1995م، ص 124.

4 – أدونيس: الشعرية العربية، محاضرات ألقيت في الكوليج دو فرانس، دار الآداب، ط1،

سعى أبو العلاء في رسالة الغفران إلى زعزعة الأفكار المترسّخة في أذهان النّاس في عصره، ودعاهم إلى التجزؤ على طرح الأسئلة حول المعتقدات الدينية والسياسية والأدبية، بما في ذلك التي تعتبر من المسكوت عنه، لكنّه مسلك في ذلك سبلاً جعلته، محاطاً بكثير من الغموض.

- البعد النّقدي:

اصطحب أبو العلاء ابن القارح في رحلة خيالية عبر الزمن حتى التقيا بكبار الشعراء واللغويين من مختلف العصور بدءا من العصر الجاهلي، وللوصول إلى هدفه أطلق العنان لمخيلته، فصوّر هؤلاء الأدباء يجتمعون في مجالس متنوّعة وولائم فاخرة وعبّر عنه قائلاً: "ويبدو – أيّد الله مجده بالتأييد – أن يضع مأدبة في الجنان، يجمع فيها من أمكن من شعراء الخضرمة والإسلام والذين أصّلوا كلام العرب وجعلوه محفوظاً في الكتب وغيرهم ممّن يتأنس بقليل الأدب"[1].

كانت فكرة حشد هؤلاء الشعراء واللغويين في رسالة الغفران نتاجاً لرغبة متخيّلة لبطل الرواية، مما سمح لأبي العلاء يجمع العديد من الشعراء والمهتمين بالأدب في حكاية واحدة، ليفسح مجالاً لمناقشة أهم القضايا النقدية في عصره، فهو "بورد طائفة من أخبار الشعراء والأدباء ونتفاً من أشعارهم وملحهم، ويضيف إليها حوارًا كان يقع مثله بين النّحاة والرّواة ممن تقدّمه فيعزوه هو إلى الشعراء أنفسهم ويجعلهم مرجعه الذي يفصل له ما فيما كان الخلاف على لحن عباراتهم وضبط ألفاظهم وتراجمهم"[2].

هـ – رسالة الغفران من منظور حقل التأثير والتأثر:

بجانب التفسيرات التي ركزت على الجوانب الفنية لنص الغفران، ظهرت دراسات

بيروت، 1985م، ص 68.

1 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 268.

2 – عبّاس محمود العقاد: مطالعات في الكتب والحياة، دار الكتاب اللّبناني، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 118.

عربية أخرى تناقشت مع كتاب القس بلاثيوس الذي أكّد تأثر الكوميديا الإلهية بمصادر عربية، كما هو موضّح في كتابه "المعراج الإسلامي" و"الكوميديا الإلهية" الذي نشره سنة 1919م، شرح فيه كيف تأثر "دانتي تأثراً مباشراً بحكاية المعراج ورسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي"[1].

استند هؤلاء الباحثون في دراساتهم على نظرية "التأثير والتأثر" التي تعد من أهم مبادئ "الأدب المقارن، لفهم العلاقة بين نص "الغفران" و"الكوميديا الإلهية"، وكان محمد غنيمي هلال "أوّل من تخصص في هذا المجال ضمن كتابه "الأدب المقارن"، بعد الانتقادات زعموا أنّ حججه باطلة من جهتين:

أوّلاً: التشابه بين الكوميديا والمصادر العربية تشابهاً سطحياً.

ثانيًا: أنّ دانتي لم يكن يعرف العربية، حتى يتطلّع على ذلك كله"[2].

بعد الدراسة توصل تشيرولي الإسباني ومونيوس الإيطالي سنة 1949 إلى نتائج، أنّ دانتي "قد استقى موضوع الكوميديا من قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي مخطوطة أصولها عربية، قد ترجمت إلى اللّغة الأجنبية الإسبانية، الفرنسية، اللاتينية"[3].

أيّدهم غنيمي هلال في هذه النتائج المتحصل عليها بقوله: "إنّ في الكوميديا الإلهية نفسها ما يثبت اطلاع دانتي على الثقافة الإسلامية... فإنّه يذكر ما يؤيد تقديره للفلسفة الإسلامية"[4]، من جهة أخرى استبعد اطلاع دانتي على رسالة الغفران بقوله: "إنّ رسالة الغفران تشبه الكوميديا الإلهية في نوع الرحلة وأقسامها ومواقفها، مما دفع الباحثين إلى القول إنّ أبا العلاء أثر في دانتي لكن هذا خطأ، إذ لا يوجد دليل على إطلاع دانتي أليجييري

---

1 – عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): جديد في رسالة الغفران، نص مسرحي من القرن الخامس هجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 45.

2 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، المرجع السابق، ص 153–154.

3 – المرجع نفسه، ص 154.

4 – المرجع نفسه، ص 155.

على رسالة الغفران"[1]، "مفسّراً التشبيه القائم بين العملين على أنّ كلاهما قد أفاد من حكاية المعراج، كما وردت في الأحاديث وأنّه لم يبق لأبي العلاء إلاّ فضل الإفادة أدبياً من التراث الإسلامي قبل دانتي"[2].

من الذين أيَّدوا هذا النفي الصّريح لمقولة التأثير والتأثر بين العملين الأدبيين نجد بنت الشاطئ، التي استبعدت فكرة اطلاع دانتي على رسالة الغفران، وذلك لعدم وجود أي دليل يثبت ذلك وأنّ الثابت هو اطلاعه على الإلياذة والأوديسة، وَردّ عليها الناقد عبد المالك مرتاض قائلاً: "وإنّا لا ننكر على بنت الشاطئ أن يكون دانتي قد اطلع على الإلياذة والأوديسة، ولكننّا تنكر عليها مغالاتها في كون دانتي لم يطلع على الغفران مع أنّ (أسين بلاثيوس)، يؤكد العلاقة القائمة بين الإنتاجين، بعد أن مضى خمساً وعشرين سنة في البحث قبل أن يصدر هذا الحكم"[3].

ختم لويس عوض كتابه "على هامش الغفران" بوضعه رسالة الغفران في المقام الثاني بعد قصة الإسراء والمعراج، من حيث التأثير في الكوميديا لدانتي، ومن الشواهد التي ساقها قوله: "أخذ دانتي عن المعرّي تصويره لإبليس، وكذلك أسلوب التنقل بين طبقات الجحيم الذي يذكر بأسلوب ابن القارح في عبور الصّراف"[4].

وجهت دراسة لويس عوض أنظار المهتمين بقضية التأثير والتأثر بين الغفران والكوميديا إلى استقصاء الشواهد، من خلال مضمون العملين وكانت دراسة صلاح فضل من أبرز الدراسات التي أسهمت في تأكيد التأثير والتأثر للشاعر الإيطالي بالتراث الإسلامي. على الرغم من وقوف صلاح فضل على شواهد ملموسة تبرز مدى تأثر دانتي

---

1 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، المرجع السابق، ص 230.

2 – نفسه.

3 – عبد المالك مرتاض: القصة في الأدب العربي، دار ومكتبة الشرطة الجزائرية، ط1، 1968م، ص 254.

4 – حسام الخطيب: محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، مطبعة طربين، 1974م–1975م، ص 83–84.

ببعض المشاهد في غفران أبي العلاء، بقي وفيًا للبحث المقارن وختم صفحاته التي خصّصها للعنوان بقوله: "لئن كانت البحوث المقارنة لم تثبت حتى الآن صلة تاريخية مباشرة بين المعرّي ودانتي فإنّ وجود التراث الإسلامي المتصل بالمعراج كمصدر مشترك واحتمال اطلاع دانتي على ترجمة أو ملّخص رسالة الغفران وتوافق بعض المشاهد والمواقف كل هذا يصلح للنهوض بهذا وطرحه كسؤال في البحوث المقارنة المستقبلية"[1].

يمكن القول من خلال ما وقف عليه البحث إنّ رسالة الغفران بقيت ملازمة للدراسات المقارنة دون أن يصل المتخصصون فيها إلى أدلة تؤكد صلتها بالكوميديا الإلهية، فالأدب المقارن تنحصر مهمته في أنّه "يكتفي بتاريخ العلاقات الخارجية للأدب ولا يتطرّق إلى الجوانب والأبعاد الجمالية الذّوقية، فهو لا يحللها ولا يقيّمها وكل ما يفعله هو أن يبين العلاقات الخارجية المرتبطة بها"[2].

و – ملخص وتحليل رسالة الغفران:

رسالة الغفران عمل أدبي لأبي العلاء المعرّي (1058م–974هـ)، وهي رسالة تصف الأحوال في النعيم والسعير[3].

رسالة الغفران أجمل مؤلفات المعرّي، هي رسالة من الصنف الروائي إذ جعل فيها المعرّي ابن القارح بطلاً لرحلة خيالية يحاور فيها الأدباء والشعراء في العالم الآخر، كانت بدايتها مقدمة وصف لرسالة ابن القارح وأثرها في نفسه، فهي كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، بعدها سافر بخياله الواسع إلى بلوغ ابن القارح للسّماء العليا بفضل أدبه الطيب وكلماته التي أوصلته الجنة[4].

---

1 – صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ص 83.

2 – عبده عبّود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص 25.

3 – أبو الحسن سلام: الظاهرة الدرامية والملحمية في رسالة الغفران، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004م، ص 610.

4 – نفسه.

فوصف وضع ابن القارح هناك مدعّمًا وصفه بآيات قرآنية وأبيات شعرية، يحكي بها نعيم الجنّة وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم لتأكيد تلك الأوصاف، مستفيدًا من معجزة الإسراء والمعراج، أمّا بالنسبة للأبيات الشعرية فقد شرحها مفصلاً من لغة وعروض وبلاغة. ينتقل ابن القارح في الجنّة ليلتقي ويحاور الشّعراء منهم من غفر الله لهم، بسبب أشعار وأبيات قد قالوها مثل زهير بن أبي سلمى وشعراء الجنّة مثل الأعشى وعبيد بن الأبرص والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت...[1]

ثمّ يوضع قصة دخوله الجنّة مع رضوان خازن الجنّة ويواصل مسيرته الأدبية مع شعراء وأدباء يلتقي بهم، ثمّ يعود أدراجه إلى الجنّة مجددًا ليلتقي أيضًا عددا من الشعراء يحلقون في الجنّة حول نعيمها وخيراتها من طيور وحور عين، بعدها يمر في طريقه إلى النّار بمدائن العفاريت، فيقع بينه وبين شعراء الجنّ حوار مثل: "أبو هدرش"، فيلتقي بحيوانات الجنّة يحاورها ويحاور الخطيئة، بعد ذلك يلتقي الشعراء من أهل النّار ويسألهم عن شعرهم ورواياتهم ونقدهم ومنهم امرؤ القيس، وعنترة بن شداد، وبشار بن يرد، وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد والشنفري والكثير غيرهم.

في نهاية المطاف يعود ابن القارح إلى الجنّة مرة أخرى ويلتقي هناك بآدم أبي البشر ويسأله عن الشعر الذي كان ينسب إليه في الدنيا ليصل إلى مكان به أفعى كبيرة فيقيم عندها ثمّ يهرول هاربًا، فيرى المزيد منها في كل مكان وأخيرًا ينتهي به الأمر ليصل إلى النعيم الفردوس الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى[2].

***

1 – ينظر، المرجع السابق، ص 614.

2 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 594.

الفصل الثاني:

ترجمة دانتي أليجييري

تمهيد:

دانتي في نظرنا شاعر كتب "الحياة الجديدة" والكوميديا الإلهية، وقليلون جدًا أولئك المعجبون الذين قرأوا له "الوليمة" ومجموعة أشعار أخرى في هذا الفصل لنا الحديث الطويل حول "دانتي أليجييري وحياته بالإضافة إلى أعماله وكتابه "الكوميديا الإلهية".

1 – حياته ونشأته:

دانتي أليجييري هو أديب وشاعر إيطالي، ولد في فلورنسا في أواخر شهر ماي من عام 1265 ميلادي، عمد باسم "تورنتي أليجييري"، يفسر اسمه بحامل الجناح الباقي على الزمن، دانتي من أسرة ميسورة الحال ذات أصل روماني، تدعى أسرة إيليزي التي ترجع إلى عهد يوليوس قيصر، توفيت أمّه وهو في السادسة من عمره، وتوفي أبوه وهو لم يصبح شابًا بعد، وقع دانتي في حب – وهو في سن التاسعة – "بياتريس" ابنة أحد أثرياء فلورنسا، ولكنّها تزوجت ابن طبقتها الثرية، حزن عليها دانتي حدّ المرض، وخلّد حبه لها في الكثير من أعماله الأدبية، بعدها تزوج "جيما دوناتي" ابنة أسرة غنية ذات نفوذ واسعة في المجتمع، أنجب منها عدة أبناء.

انصرف إلى الدّراسة وتلقى التّعليم في عصره، عكف دانتي على دراسة القانون والطب والموسيقى والنحت، وألمّ بالتراث اليوناني والشرق وتعلم ثقافة العصور الوسطى، وهكذا كان دانتي رجلاً واسع العلم والمعرفة والثقافة، وذلك لأنّه يجد اللّذة في تنوّع الدّراسة، ولم يكتفي بذلك فقط بل اشترك بالحياة العسكرية، فكان جنديًا وطنيًا، 1295م انضم إلى العالم السياسي وكان ناشطًا بالحياة السياسية، حيث انضم إلى نقابة الأطباء، اشترك أيضًا ببعض المجالس الحكومية، وعيّن سفيرًا في بعض المدن الإيطالية[1].

اتهم دانتي في يناير سنة 1302م بمعارضة قدوم شارل دي فالوا إلى فلورنسا،

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، الجحيم، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، ط2، القاهرة، 2002م، ص 13–77.

وبارتكاب الغش والسّرقة، وباستخدام سلطة وظيفته في الابتزاز عندما كان عضوًا في مجلس السنيوريا، لذلك فرضت عليه غرامة قدرها خمسة آلاف من الفلوريتات، يدفعها في ثلاثة أيّام، بالإضافة إلى عزله من منصبه ونفيه لمدة سنتين.

صدر في مارس سنة 1302م حكم جديد أيضًا يقتضي بمصادرة جميع أملاكه، ويحرق حيًّا إذا وقع في يد الحكومة.

بينما كان ذنبه الحقيقي هو معارضة سياسة البابا والدّفاع عن فلورنسا، فكان جزاءه النّفي والقتل، وأيضًا حرّم عليه العودة ورؤية وطنه إلى الأبد.

التقى دانتي بالمنفيين من فلورنسا من آل تشيركى وآل أوبرتي وآل أباتي، الذين اجتمعوا في "أريتزو الجيلينية". في تلك الأثناء تعرّف دانتي على عمدة المنطقة ونشأت بينهم صلة وطيدة فأهدى إليه "الجحيم".

اختار اثني عشر عضوًا من المنفيين من بينهم دانتي ليعملوا كمجلس يدير شؤونهم. قرّر المنفيون مهاجمة فلورنسا، فوضعوا خطّة لكن لم يتفق عليها الجميع أثناء الدّخول إلى فلورنسا فآلت الخطة إلى الفشل، تمنى دانتي أن يزول هذا الشقاق كلّه ويعود الأمن والسلام إلى وطنه، فابتعد عن هؤلاء المنفيين، وجعل من نفسه حزبًا هو العضو الوحيد فيه!.

أصبحت حياة دانتي غامضة بعد هزيمة المنفيين، يقول عن نفسه أنّه أصبح ينتقل من مكان لآخر، كسفينة دون شراع، ومن المعروف أنّه ذهب إلى "فيرونا" سنة 1304م، ولكنّه غادرها بعد برهة[1].

وأخيرًا سمحت الفرصة سنة 1315م لدانتي بالعودة إلى وطنه، وعندما وافقت فلورنسا على إرجاع بعض المنفيين إليها، ولكنّها وضعت شروطا لذلك، منها أن يعترف دانتي بأنّه مخطئ، ويدفع الغرامة المالية، ويطلب الغفران في حفل رسمي، صحيح أنّ العودة إلى الوطن حلم جميل ولكن نفسه الأبية لم تقبل مثل هذه الشروط المهينة، فكتب إلى صديقة،

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 28–29.

أهذا هو النداء الذي يعود به دانتي إلى وطنه؟!، وقال بمرارة أنّه سيرى الشمس والنجوم في كل مكان، حينها حكمت عليه فلورنسا بقطع الرأس إذا وقع في يدها.

انتقل دانتي بين المدن، وما إن اجتاز حدود رومانيا حوالي سنة 1317م، حتى سارع أميرها بدعوته إليه، لأنّه كان رجلاً كريمًا، شاعرًا يدرك ما يجول بنفوس العظماء.

رجع دانتي وزملاؤه إلى "رافنا" عن طريق البّر، وعبروا منطقة ملأى بالمستنقعات، فأصيب دانتي بالملاريا، ووصل راقنًا مريضًا، ولم يحتمل جسده الحمى، فأسلم الرّوح في ليلة 14 سبتمبر 1327م، ومات دانتي ويداه على صدره، عيناه مغلقتين ووجهه متصلبًا، مات ولم يبدو عليه إن كان حيًّا أو ميتًا[1].

2 – أعمال دانتي أليجييري:

على الرغم من أنّ أعمال دانتي تكشف عن معرفته الموسوعية التي ضمّت جميع علوم عصره، إلاّ أنّ القليل من يعرف عن نشأته الثقافية.

كتب دانتي "الوليمة" باللّهجة التوسكانية، في الفترة (1306م–1308م)، قصد دانتي أن يضع هذا الكتاب في أربعة عشر فصلاً، لكنّه لم يتم منه إلاّ أربعة فصول.

الفصل الأوّل عبارة عن مقدّمة يذكر فيها أنّ كل إنسان بالطبيعة صديق لكل إنسان، أمّا الفصل الثاني فتكلّم فيه عن خلود النّفس، وتقسيم السماوات، ويتناول الفصل الثالث الفلسفة، والنفس، وطبيعة الحب والعقل، فيما بحث في الفصل الرابع مكارم الأخلاق، ومعنى النبالة.

وضع أيضًا كتابه "عن اللّغة العامية"، كتبه باللّغة اللاتينية أتمّ منه الجزء الأوّل وقسمًا من الجزء الثاني، تكلّم دانتي في الجزء الأوّل من الكتاب عن الفرق بين اللاتينية والعامية، وفي الجزء الثاني تحدث عن استخدام اللّهجة العاميّة في الشعر.

ومن بين مؤلفاته أيضًا نجد كتاب "الملكية" كتب في الفترة ما بين (1309م–

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 32.

1313م).

كل هذه الكتب والمؤلفات كانت تمهيدًا وبداية لمقدّمة كتاب "الكوميديا الإلهية"، ويتكون الكتاب من ثلاثة أقسام أوّلا "كتاب الجحيم"، ثانيًا "كتاب المطهر"، ثالثًا "كتاب الفردوس"، وكان دانتي قد أظهر فكر أبناء فلورنسا[1].

3 – ملخص الكوميديا الإلهية:

أ – وقفة تعريفية للكوميديا الإلهية:

الكوميديا الإلهية تعد أعظم ما تناوله الأديب الإيطالي، وتعتبر أيضًا البيان الأدبي الأعظم في أوروبا أثناء العصور الوسطى، وقاعدة اللّغة الإيطالية الحديثة، وهي أيضًا تحفة من الأدب المسيحي الإيطالي وواحدة من الآداب العالمية، "وكان دانتي قد سماها الكوميديا فحسب، ثمّ أضيف الإلهية بعده في طبعة 1555م، بدأ في نظمها الشاعر في حوالي عام 1307م، واستمرّ في نظمها سنين يصعب تحديدها"[2].

"ويبدو أنّ دانتي قام بتسميتها بـ"الكوميديا" بمعنى السخرية، "وهي السخرية من سخافة النظرة المغلقة التي كانت تسود عقائد العصور الوسطى"[3]. أمّا وصفها بالإلهية "إنّما هي صفة تخلع مجازًا في اللّغة الإيطالية على كل ما يبعث على الإعجاب والكمال، وبذلك ترجمتها إلى اللّغة العربية الصحيحة هي الكوميديا الجميلة الرائعة أو الكوميديا المتقنة"[4]، "وهي من الشّعر الملحمي، ولكنّها تختلف عنه بكونها لم تدر في إطار حماسي حربي (كملاحم الإلياذة والإنيادة)، "وإنّما تدور في إطار القيّم الإنسانية والسياسية التي يمارس فيها رجال الدّين الضغط من أجلهم ومن أجل مصالحهم واستغلالاتهم للسلطة في الظلّم والإبادة

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 51–55.

2– محمد غنيمي هلال: الفن ومذاهبه في النثر العربي، المرجع السابق، ص 276.

3 – مقدمة دانتي، الكوميديا الإلهية، ترجمة حنا عبود، وزارة الإعلام، ط1، دمشق، 2002م، ص 30.

4 – سمير الجندي: الإبداع عند المعرّي في الغفران، دنيا الوطن، القدس، ص 2009.

باسم الدّين لتحقيق مصالح دنيوية، وقد صاغها دانتي متحديًا بها السلطة، فهي شعر فريد من نّوعه، وليس لها نظير ومضمونها متنوع وهدفها في الدنيا والآخرة"[1].

ب – ملخص وتحليل الكوميديا الإلهية:

استمرت كتابة الكوميديا الإلهية لدانتي أليجييري "أربعة عشر عامًا، وقد قام المعجبون به بإضافة كلمة الإلهية بعد موته، أمّا الكاتب فكان عمله يقتضي على كوميديا، قصيدة تصورّ رؤية الوجود الغير أرضي"[2].

تبدأ رحلة الشاعر وهو في السّن الخامسة والثلاثين من عمره، واستغرقت فقط سبعة أيّام، يدخل الشاعر إلى غابة متشابكة الأغصان كثيرة الأشجار، فيواصل السير فيها إلى أن يصل إلى جبل عال، فيهم بتسلقه ليصل إلى الفتاة التي يحبها، ولكن لسوء الحظ سدّت عليه الطريق من قبل ثلاثة وحوش: أسد ونمر وذئبة، فيعود إلى الخلف مذعورًا، ليظهر له إنسان عزيز الشاعر فرجيل جاء من العالم الآخر ليأخذه من طريق مغاير حيث يريد، فينحدر به إلى الجحيم يجتازها، إذ به يرى أنواع الهالكين وما يقاسونه من عذاب أليم، وقد كانت هذه الرّحلة في الجحيم طويلة مخيفة مليئة بالخطر والرّعب، وقد استغرقت كتابًا ضخمًا من الكوميديا الإلهية[3].

بعد أن طاف دانتي وقائده في ممالك الجحيم، يصعدان إلى المطهر (الأعراف) ليريا المساكين يتعذبون انتظارًا للساعة التي يطهرون فيها من ذنوبهم ثم ينتقلون إلى السّماء طاهرين أنقياء.

"ثمّ ينتهي الزائران إلى الفردوس الأرضي وهو القسم الأعلى من المطهر، وتليه

---

1 – مقدمة دانتي، الكوميديا الإلهية الجحيم، المصدر السابق، ص 62.

2 – سناء شعلان: رسالة الغفران والكوميديا الإلهية، مجلة عود الند، ع22، تاريخ النشر 2018/03/22.

3 – المرجع نفسه.

السماء الأولى – وهي سماء القمر –، وبعدها الكواكب والشمس والنجوم الثابتة في الفردوس الأراضي، ليصل إلى هذين الفرعين، الفرع الأوّل يسمى "ليتيه" (Lité) والثاني يسمى "أيونويه" (Eounoé)، لتظهر على الضفة الأخرى امرأة ناصعة الجمال اسمها "ماتيلدا"، ليكون دورها أخذ الشاعر للقاء الحبيبة"[1].

عند ذلك يظهر نور ساطع وموكب من أرواح الأبرار جميعهم في ملابس ناصعة بيضاء في آخرها عربة يسير أمامها أربعة وعشرون رجلاً ينشدون، يحملها أربعة حيوانات لكل منها ستة أجنحة ولها عجلتان وبحرها العنقاء، نصفه نسر والآخر أسد على اليمين ثلاث نساء يرقصن وعلى يسارها أخريات يغنين.

تطّل امرأة من قلب الحشد، كأنّها رمز للحياة يزهر وسط الضجيج، ترتدي ملابس في لون شعلة منيرة، في ذلك الحين يختفي "فرجيل" لأنّ مهمته اكتملت في نفس الوقت، ليرى المرأة تنظر إليه وتقول "انظر إليّ أنا "بياترشيه"، ليكون بذلك قد انتهى فصل المطهر، بعده نرى "بيارتشيه" مع دانتي تأخذه عبر السماوات وفي نفس الوقت تشرح له كل ما يراه... حتى تصل بهما الرحلة إلى رؤية الجلال الإلهي الذي تحيط به تسع حلقات من النور، وهي أجواق الملائكة القائمين على تسبيحه"[2].

لتكون هذه هي قصة الكوميديا الإلهية التي أنشأها دانتي ليخلّد به حبه منذ الطفولة، فينير به الأجيال.

ج – أسباب كتابة الكوميديا الإلهية:

كانت العصور الوسطى فترة حاسمة في تاريخ إيطاليا والعالم حيث شهدت أحداثاً وتطورات مختلفة على جميع الأصعدة، ممّا مهّد الطريق لظهور دانتي وعصر النهضة والعصر الحديث، فعلى الصعيد السياسي، انهارت الدولة الرومانية الغربية بعد انقسام

1 – سناء شعلان: رسالة الغفران والكوميديا الإلهية، المرجع السابق.

2 – المرجع نفسه.

الإمبراطورية، وتعرفت إيطاليا لغزوات من قبل البرابرة والجرمان، وقد تركت هذه الغزوات آثاراً عميقة على أوروبا وإيطاليا، ممّا أدى إلى حالة من الفوضى والاضطراب، ولكن سرعان ما ظهرت محاولات لإعادة الاستقرار السياسي، مثل تأسيس الإمبراطورية الرومانية المقّدسة.

تنوّعت النظم السياسية في إيطاليا خلال العصور الوسطى بين الديمقراطية وحكم الفرد، ففي فلورنسا ظهرت حركة الكمون التي نادت بحماية الشعب من ظلم النبلاء، سلالة الغزاة الجرمان، ومن تدخلات البابوية والإمبراطورية. وقد تمكنت فلورنسا من تأسيس نظام ديمقراطي وإصدار وثيقة تُمثل شبه حقوق الإنسان، وإلغاء الرق، وإعلان الحرية حقاً للجميع لا يمكن التنازل عنها، ولم تقتصر أهداف فلورنسا على الحفاظ على الحرية فقط بل سعت إلى توسيعها وتفريزها[1].

- من الناحية الاقتصادية:

موقع إيطاليا المميّز على الخريطة جعلها بوابة التجارة بين الشرق والغرب، مما أدّى إلى ازدهارها الاقتصادي، فقد أسّس الإيطاليون مراكز تجارية هامّة في المشرق، وازدهرت التجارة بين أوروبا والعالم الإسلامي خلال حقبة الحروب الصليبية، وحافظت المدن والجمهوريات الإيطالية على مكانتها الريادية في التجارة العالمية حتى بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء التصالح في القرن الخامس عشر الميلادي. ولكن، أدّى تراكم الثروات الطائلة من التجارة في أيدي الطبقة الأرستقراطية إلى إهمالهم لمسؤولياتهم العسكرية، ممّا دفعهم إلى الاعتماد على الجيوش المرتزقة، وعندما وهنت قوّتهم العسكرية، ضعف نفوذهم السياسي ممَّا أتاح الفرصة للشعب للثورة عليهم، كما ساعدت الثروة التجارية على صعود أفراد من عامة الشعب إلى مراتب اجتماعية عليا، ممّا أدى إلى تقليص الفوارق الطبقية بين النبلاء والعامة.

وبذلك، فقد لعبت الثورة التجارية دوراً محورياً في تغيير البنية السياسية والاجتماعية

1 - دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 14.

في إيطاليا خلال العصور الوسطى وفضلاً عن ذلك نجد أنّ الثورة كانت الفرصة لنشر العلم والأدب والفن[1].

- ومن الناحية العلمية والعقلية:

خلال العصور الوسطى، سيطر الإيمان والنقل على الفكر الديني، بينما غاب عن تلك الحقبة التفكير العقلاني والابتكار، ومن أشهر الأمثلة على ذلك، القديس أوغسطينوس الذي عاشها في القرنين الرابع والخامس، حيث دعا إلى استخدام العقل لفهم الإيمان. كما تأثّر الفكر الديني في تلك الفترة بالفلسفة اليونانية القديمة، وخاصة فلسفة أفلاطون، وذلك بفضل حركة الترجمة التي نقلت الخصوص الفلسفية اليونانية إلى اللّغة العربية[2].

تعد اللّغة والأدب الإيطاليان من أحدث اللغات والآداب الأوروبية، حيث تأخّراً في الظهور مقارنة بنظيرهما في الدول الأوروبية الأخرى، ويمكن ربط هذا التأخير بعاملين أساسيين:

هيمنة اللّغة اللاتينية: فقد ظلّت اللّغة اللاتينية هي اللّغة السائدة في إيطاليا لقرون طويلة، كونها مع الحضارة الرومانية، ممّا أعاق تطور اللّغة الإيطالية.

قبل ظهور دانتي، كانت أوروبا تعيش حالة من التلاحم والتغيير في جميع المجالات: السياسية والاقتصادية، الدينية، النفسية والأدبية.

تجسدت هذه التحولات في صراعات قوية وصراعات داخلية، ساهمت جميعها في تشكيل اتجاه عام نحو التّطور والتجديد، لعبت العصور الوسطى دوراً محورياً في هذه التحوّلات، فمع ازدياد تعقيداتها، مهدت الطريق لعصر النهضة، ثمّ العصر الحديث في إيطاليا، اتسمت الظروف المعيشية بالتنوع والتناقض، حيث تعايشت العنف مع الازدهار، والجمال مع القبح، ممّا أدى إلى بروز جيل من العباقرة الإيطاليين الذين برزوا في مختلف

1 - دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 17.

2 - المصدر نفسه، ص 18.

المجالات، كان دانتي أليجييري أحد هؤلاء العباقرة، حيث تميّز بشخصيته المتعددة الأوجه، فكان شاعراً وفناناً وجندياً وسياسياً ومصلحاً، تأثرت أعماله بشكل كبير بالعصر الذي عاش فيه، وجسدت عبقرية العصر الحديث مع الحفاظ على جد العصور الوسطى.

وهكذا يمكن القول إنّ دانتي كان ابن عصره بكل ما فيه من تناقضات وجماليات، ونتاجاً حياً لتفاعل مختلف العوامل التي شملت عصره[1].

د – دوافع كتابة الكوميديا الإلهية لدانتي:

سخر دانتي أليجييري في عمله "الكوميديا الإلهية" من العقائد الدينية المتعصبة، خاصة العقيدة المسيحية الوحدانية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، لم يكتفى دانتي بانتقاد الممارسات البابوية، بل هاجم أيضاً العقائد الوحدانية ذاتها، ناقشها بصراحة أحياناً وبشكل مبطن أحياناً أخرى.

فما هي الوحدانية المسيحية؟ هي مجموعة من الأفكار والعقائد لي نشأت في روما وانتشرت في جميع أنحاء أوروبا، سعت هذه الأفكار إلى محاربة الثقافة اليونانية القديمة، التي كانت تتميز بتعدد الآلهة، وذلك لحماية مصلح الكنيسة المسيحية واحتكارها لتفسير الإرادة الإلهية[2].

تشبه الوحدانية المسيحية، شأنّها شأن أي عقيدة وحدانية أخرى سواء سابقة أو لاحقة، بغض النظر عن اختلاف التسميات في قمعها للأصوات المخالفة وجعلها لعقائدها ومصالحها معياراً لتقييم شخصية الفرد إيجابا أو سلبياً، فالإيمان بالمسيح وكل الشخصيات الكاريزمية الأخرى، يعد شرطاً أساسياً للخلاص والإخلاص، والإيمان هنا يعني الخضوع التام إرادتهم، ولقد واجه من خالف هذا الشرط أشد أنواع العذاب من نفي وقتل، ولم يقتصر الأمر على العقاب الفردي بل ظهرت محاكم التطهير، التي تشابه محاكم التفتيش التي

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 21.

2 – المصدر نفسه، ص 6.

ظهرت لاحقاً في بعض الأنظمة النازية والفاشية، وذلك بعد ستة قرون من ظهور الوحدانية المسيحية.

تحصر الوحدانية المسيحية، شأنّها شأن أي وحدانية أخرى الحاضر والمستقبل في حدود تصوراتها الخاصة الرافضة أي عقيدة عن الخلق تخرج عن نطاقها، ومنكرة أي تصور للمستقبل يختلف عن تصورها هذا التصور يجب ألاّ يغيب عن ذهننا لأنّ دانتي اعتمده ولكنّه اعتمده كإطار روائي، أمّا من حيث العقائد فلم يكن متفقاً معه، إذ هناك الجحيم الذي رأى دانتي أنّ كثيراً من تراثه يجب أن يكونوا الجنة والعكس صحيح[1].

يظهر جلياً من خلال تفكير دانتي الموحد، يل من ثقافته اليونانية العميقة، أنّه لم يكن مجرّد معارض للوحدانية المسيحية ممارسة وعقيدة، بل تجاوز ذلك إلى نقدها بشكل موضوعي مستنداً إلى الفكر والممارسة اليونانيين، فقد سعى دانتي التحرير العقيدة المسيحية من ضيق أفقها وتعصبها، مستعيناً بالشخصيات المسيحية التي اعتبرها شأنّها شأن الشخصيات الوثنية، تتمتع بصفات عظيمة مثل الروعة والحلال والفاعلية، ولكن من المهم الإشارة إلى الوثنية اليونانية لم تقتصر على هذه الشخصيات بل قامت على أربع فضائل أساسية: الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة.

تميز هذه الفضائل (الحكمة، العدالة، والعفة، والشجاعة) بكونها طبيعة، بمعنى أنّها قابلة للملاحظة واللمس في سلوك الأفراد، فمن السهل تمييز العادل من الظالم، والحكيم من الأحمق، والشجاع من الجبان، والعفيف من المتهتك، وكلّ من هذه الفضائل يتجلى بوضوح في الممارسة العملية، دون تمثيل أو ادعاء، في المقابل ترتكز الوحدانية المسيحية على ثلاث فضائل أساسية: الإيمان، والرجاء، والمحبة، وإن كانت هذه الفضائل عظيمة وإنسانية، إلاّ أنّها تختلف عن الفضائل الأربع اليونانية في كونها ذاتية تعتمد على المعتقدات الداخلية

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 8.

للأفراد[1].

4 – مصادر تأثر الكوميديا الإلهية:

أ – المصادر الغربية:

انبثق الأدب الإيطالي من رحم الأدب اللاتيني، حاملاً معه إرثاً عريقاً من الأدب اليوناني القديم. فشبه الجزيرة الإيطالية مهد الثقافة اللاتينية، احتضنت مدناً إغريقية عتيقة تاركة بصماتها على مسار الأدب الإيطالي. تميّز الأدب الإيطالي بتناغم فريد بين الابتكار والتقاليد حيث استلهم كتابه وشعراؤه من كنوز الأدب الكلاسيكي، بينما حرصوا على إبداع أعمال أدبية جديدة تجسّد روح عصرهم، فكان هذا التناغم أحد أهم السّمات التي ربطت بين أدب هذه الأجيال الثلاثة: (الإغريقي، اللاتيني والإيطالي)، وهي تفوق الشعر كشكل من أشكال التعبير، وهو ما سار عليه دانتي في ملحمته، حيث كان أثر التراث اليوناني واللاتيني واضحاً ومباشراً، فهناك استحضار لكبار شخصيات هذا التراث على رأسهم فرجيل الشاعر العظيم، حيث كان مرشده في رحلته عبر الجحيم ثمّ المطهر.

– أثر الإلياذة والأوديسة لهوميروس في الكوميديا الإلهية:

يُمثل التراث اليوناني بمثابة ينبوع إلهام غزير للكتاب والشعراء الإيطاليين، حيث يغرفون منه المعارف والجماليات لتشكل حجر الأساس لأعمالهم الإبداعية: "سواء في الأخذ من الأدب اليوناني والبناء على أساسه واعتناقه مبادئه التي دان بها في التصوير والتحليل وعبادة الجمال"[2].

شكلت ملحمة الإلياذة تلك القصيدة الشعرية الخالدة التي نسجها قلم الشاعر العظيم هوميروس، حجر الزاوية في الأدب الإغريقي لتصبح بمثابة المنبع الذي تفجر منه ينبوع الإبداع في مختلف الأجناس الأدبية، وبفضل مكانتها المرموقة عبرت الإلياذة حدود الإغريق

1 – المصدر نفسه، ص 9.

2 – فخري أبو السعود: مجلة الرسالة، العدد 186، سنة 1937.

لتلهم أجيالاً من الكتاب في الأدب اللاتيني حاملاً معها خصائصها وطابعها المميّز.

فالكوميديا الإلهية صممت على نفس قالبه ونفس منهجه أيضاً. فهوميروس شاعر ملحمي إغريقي من نسج خيالي، كما أيّده الباحثون المعاصرون الذين نسجوا الرحلات الخيالية إلى العالم الآخر، حيث أصبحت فكرة إنسانية مشتركة كالكوميديا الإلهية لدانتي، الذي هو أيضاً نسج عَمَلُه وأفكاره بشعر ملحمي خيالي، وإلى جانب السرد والرسم كان التأثير والتنبؤ والتحليل موقعاً بارزاً في ملاحم هوميروس وأيضاً دانتي.

تجسد الكوميديا الإلهية نظرة للمستقبل، مستوحاة من مقومات القديس أوغسطين، حيث تبحر بنا صفحاتها عبر رحلة تنبؤية، تتنبأ بمصائر الشخصيات وتلمح لمستقبل فلورنسا، فكانّ لقاء دانتي بسلفه كاسيغيداً في الجنة يُمثل رمزاً لتواصل الأجيال وتناقل المعرفة، حاملاً معه بصيص أمل لمستقبل واعد.

"والمشهور عن دانتي أنّه لم يكن يعرف اليونانية، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على الأدب اليوناني اطلاعاً كان ذا أثر كبير في تكوينه الأدبي، وممّا لا شك فيه أنّ دانتي قرأ ما قرأ من أدب اليونان في التراجم التي قام بها مواطنه الشاعر "أوفيد" تلك التراجم الخالدة التي حفظت لنا جانباً كبيراً من أساطير الإغريق وتراثهم الأدبي[1].

- أثر الإنيادة لفرجيليوس في الكوميديا الإلهية:

تعد الإنيادَة من الأعمال الملحمية الرقية ومن التراث الإنساني الخالد، نسج خيوطها ببراعة شاعر الأناقة فرجيليوس، أمير الشعر اللاتيني. تتناول هذه الملحمة حكاية تاريخية عظيمة تتمحور حول بطلها إينياس، ابن طروادة، الذي هرب من مدينته بأمر من الآلهة ليخوض رحلة شاقة عبر البحار، حاصلاً معه علماً بإحياء طروادة من جديد، ليصل به المطاف إلى إيطاليا لتقوده إحدى الكاهنات إلى العالم السفلي.

ترتبط كل من الإنياذة والكوميديا الإلهية برباط وثيق، حيث تتقاطعان في العديد من

1 - المرجع السابق.

الجوانب، أبرزها عرض مشاهد من العالم الآخر، بالإضافة إلى ذلك تظهر مسيرة كلا البطلين، إينياس ودانتي تشابهاً ملحوظاً فكلاهما عاش حياة التشرد حاملاً حلما ببناء مدينة جديدة (فلورنسا جديدة بالنسبة إلى دانتي، وطروادة جديدة بالنسبة إلى إينياس)، ويسلك كلاهما في النهاية رحلة إلى العالم الآخر لتصبح هذه الرحلة رمزاً للتجارب الروحية العميقة إلى واجهها كلّ منهما. يتشارك بطلاً الإنياذة والكوميديا تجربة فريدة في العالم الآخر، حيث يلتقيان بحبيبتهما التي حرما منهما في الحياة الدنيا، وتشكل الرؤيا المستقبلية عنصراً هاماً يجمع بين رحلتيهما، مضيفة عَلَيْهما عمقاً فلسفياً ومعنوياً. ويُحسّد دانتي هذا التأثير بشكل واضح في ملحمته، حيث يكرم فرجيليوس شاعر الإنياذة، ويجعله من الشخصيات الرئيسية في الكوميديا الإلهية.

ب – المصادر العربية والإسلامية:

استقى دانتي أليجييري أفكاره لكتابة ملحمة "الكوميديا الإلهية" من ينابيع الثقافة العربية، وذلك وفقاً لبحوث غربية تناولت مصادر دانتي العربية في هذا العمل الأدبي، ومن أهمها ذلك المجلد الكبير الذي كتبه القس الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس في مدريد عام 1919م، وشرح فيه مصادر دانتي العربية، وكيف تأثر مباشرة بالإسراء والمعراج، استفاد دانتي أليجييري في ملحمته "الكوميديا الإلهية" من روافد ثقافية عربية غنية، شملت "الفتوحات المكية" لمحيي الدين بن عربي و"رسالة الغفران" لأبي العلاء المعرّي، كما أكدّ الباحث الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس في دراساته الرابط الوثيق بين عمله الأدبي الإسلامي بشكل عام. لقد أثارت الكوميديا الإلهية لدانتي أليجييري جدلاً واسعاً حول أصولها، وتضاربت الآراء حول مدى تأثير التراث الإسلامي على ملحمة "الكوميديا الإلهية" لدانتي، بما تحتويه من معالم شرقية تدل على استلهامها من مصادر إسلامية غنية. وبينما سادت فكرة تحكم دانتي بمعارفه على حساب الجانب الفني لعمله، نجد في القصة الإسلامية ما يعادل هذه الفكرة، حيث يظهر وضوحاً تأثر دانتي بتراث غني بالمعرفة والروحانية.

- أثر قصة الإسراء والمعراج:

تروي قصة الإسراء والمعراج رحلة نبوية عظيمة، حيث عرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثمّ واصل صعوده عبر السماوات العُلى حتى بلغ السماء السابعة، حيث سدرة المنتهى، وهناك التقى بالأنبياء والرسل وشاهد عجائب الخلق، وتلقى أوامر الله تعالى بالصلاة، ثمّ عاد إلى الأرض بعد أن رأى الفردوس والجحيم وما فيهما من نعيم وعذاب.

"كرّس المستشرق الإسباني ميجيل آسين بالاثيوس جهوده لدراسة "الكوميديا الإلهية" لدانتي، مُعِيراً قضية التراث الإسلامي اهتماماً خاصاً، من خلال المقارنة، لاحظ بلاثيوس تشابهًا ملحوظاً بين عمل دانتي وما ورد في قصة الإسراء والمعراج، بل ما ورد في القرآن الكريم عن الجنّة والنّار، وبناءً على هذه الملاحظات، خلص بلاثيوس إلى وجود صلات وثيقة بين "الكوميديا" وبعض الكتب الإسلامية التي تتناول معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم"[1].

في كتابه المشهور، أكدّ بلاثيوس على تجلي فكرة الحشر والنشر الإسلامية في "الكوميديا الإلهية" لدانتي، مشيراً إلى وجود جذور إسلامية واضحة للعمل، بل ذهب إلى حدّ القول بأنّ بعض أجزائه مبنية بشكل أساسي على تلك الجذور"[2].

يشير بلاثيوس في كتابه إلى إحدى القصص التي تروي رحلة الإسراء والمعراج، ملاحظاً تشابهاً كبيراً مع دانتي في "الكوميديا الإلهية" من حيث الأحداث والشخصيات، يتجلى هذا التشابه في تصور دانتي للسماوات كمنازل مليئة بالصالحين الذين ينخرطون في نقاشات دينية وفلسفية، شبيهة بتلك التي تدور في القصة الإسلامية. ومع ذلك، يرى بلاثيوس أنّ دانتي قد تخيل هؤلاء الصالحين كمسيحيين، بينما تختلف القصة الإسلامية في

1 - محمد سعيد: الأدب المقارن، دراسات تطبيقية في الأدب العربي والفارسي، ص 85.

2 - صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في كوميديا دانتي، المرجع السابق، ص 38-42.

هذا الجانب. كما يرجّح بلاثيوس أنّ القصة الإسلامية في مراحلها المتأخرة، لا تصل إلى نفس المستوى من الفن الذي تتمتع به "الكوميديا"، ولكن على الرغم من هذه الاختلافات، لا يمكن إنكار التشابه الكبير بين القصتين من حيث السياق العام للرحلة، حيث يشترك كل من دانتي والنبي محمد صلى الله عليه وسلم في تجربة صعود روحي عبر السماوات.

– بشير الكاتب أيضاً إلى أوجه تشابه أخرى بين الإسراء والمعراج ورواية دانتي، تشمل:

– كون كل من النبي محمد صل الله عليه وسلم ودانتي راوياً لقصته ورحلته.

– ظهور مرشد إلهي في كلتا الرحلتين، ففي الإسراء والمعراج ظهر جبريل عليه السلام للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بينما ظهر فرجيل لدانتي.

– تشابه تصميم الجحيم في كلتا الروايتين، حيث يصور على هيئة قمع كبير يتكون من طبقات متعددة، تُخصص كل طبقة لفئة من الهالكين حسب خطورة دنبهم.

يغوص المؤلف في تفاصيل أكثر عمقاً تربط بين رواية الإسراء والمعراج ورواية دانتي، مركزاً بشكل خاص على أوجه التشابه في أشكال العقاب في الجحيم، ويُشير إلى أنّ الرمزية المستخدمة في القصتين تتطابق أيضاً في المعنى على سبيل المثال، تشابه المرأة التي حاولت إغواء دانتي في الدائرة الرابعة من دوائر المطهر إلى حد كبير العجوز ذات الشعر المنسدل التي حاولت إغواء النبي محمد صلا الله عليه وسلم في بداية رحلته، ويفسّر بلاثيوس هذا التشابه بأنّ كل من جبريل وفرجيل اتفقا على أنّ هذه المرأة ترمز إلى فتن الدنيا الباطلة.

ويضيف بلاثيوس أنّ تصميم الجنة في كلتا القصتين متطابق أيضاً، مسرداً عشرات الأمثلة على التشابه في الصور والمعنى والرمزية بين رواية الإسراء والمعراج ورواية دانتي.

أثبتت هذه الوثيقة بشكل قاطع صحة نظرية بلاثيوس حول تأثر دانتي بالتراث الإسلامي، وشكلت الدليل الحاسم الذي كان ينقصها.

وتكشف هذه الوثيقة عن أمر ملك إسبانيا ألفونسو العاشر لطبيبه اليهودي في بلاطه

إبراهيم الحكيم، بترجمة قصة الإسراء والمعراج من اللّغة العربية إلى اللاتينية عام 1263م. وبينت الوثيقة أيضاً أنّ هذه الترجمة كانت مأخوذة عن ترجمة أخرى إلى اللّغة الفرنسية قام بها موثق إيطالي يُدعى "بْوينَا فينتورايديسينا"، وذلك في العام التالي، أي قبل عام واحد من ميلاد دانتي[1].

إنّ تشابه "الكوميديا الإلهية" مع قصة الإسراء والمعراج لا يقتصر على الملامح العامة، بل يتجلى أيضاً في تفاصيل دقيقة لا يمكن تفسيرها بمحض الصدفة أو توارد الأفكار. ويُقدم الدكتور غنيمي هلال في هذا الصدد دراسة مقارنة مقتنعة بين "الكوميديا" والنص العربي الأصلي، يُسلّط الضوء على هذه التشابهات الدقيقة.

– إنّ دانتي في وصفه للجحيم يرى أنّها في أرض متوارية تحت هذه الأرض الممتلئة ناراً وفي الدرك الأسفل منها شيطان، وهذا مطابق تماماً لمّا في المخطوطة العربية، الفصل الثالث والخامس والحادي والستون.

– مهمة من يصحبون الرسول في رحلته من الملائكة شرح وإجابة على كل ما يشير في نفسه قلقاً، وهي نفس مهمة من يصحبون دانتي.

– رؤية الله في ملحمة دانتي تتم في السماء الثامنة حيث العرش تحيط به تسع صفوف دائرية من الملائكة، وهنا لا يستطيع دانتي الإبصار ويعترف بعجزه عن وصف هذا المنظر الذي يفوق كل ما يتوقعه البشر، ولكن حيث يعجز بصره يشعر بالنشوة والفرح والراحة الروحية تغزو نفسه، وهو ما ينطبق مع ما في قصة المعراج في المخطوطة"[2].

– أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية:

في عام 1919م، نشر المستشرق الإسباني بلاثيوس كتابة "أثر الإسلام في الكوميديا

1 – عبد المطلب صالح: دانتي ومصادره العربية والإسلامية، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط1، بغداد، 1978م، ص 24.

2 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، المرجع السابق.

الإلهية"، حيث قدم أدلّة مقنعة على وجود صلة وثيقة بين عمل دانتي الشهير والتراث الإسلامي بشكل عام، وخاصة قصة الإسراء والمعراج والتصورات والمعتقدات الصوفية عند ابن عربي، لقد استند بلاثيوس في كتابه إلى تتبع أوجه التشابه بين "الكوميديا الإلهية" وبين هذا التراث الإسلامي الغني، ليثبت تأثيره الواضح على دانتي وأفكاره، وفي عام 1949م، نجح الباحث الإسباني "خوسيه مونبوت ساندينو" في اكتشاف ثلاث مخطوطات نادرة تمثل ترجمة قصة الإسراء والمعراج إلى اللغات القشتالية واللاتينية والفرنسية القديمة. وقد تمت هذه الترجمات بأمر الملك الإسباني "ألفونسو العاشر" عن أصل عربي.

وفي نفس العام، نشر الباحث الإيطالي "إنريكو تشيروللي" ترجمة إيطالية لتلك الخصوص، ممّا أثار اهتماماً كبيراً بدراسة أوجه التشابه بين "الكوميديا الإلهية" لدانتي وقصة الإسراء والمعراج[1].

تشير الدلائل إلى وجود تلاقٍ فكري عميق بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي والكوميديا الإلهية لدانتي، مما يثير تساؤلات حول مدى تأثر دانتي بهذا العمل العربي الخالد، هذا التلاقي الذي أكد غالبية الباحثين وجوده في ملحمة دانتي، بشكل مباشر وغير مباشر أيضاً. "أثار المستشرقون الأوروبيون، وعلى رأسهم نيكلسون وبلاثيوس، جدلاً واسعاً حول مدى تأثر دانتي بالمعرّي في عمله "الكوميديا الإلهية"، وتناولت نقاشاتهم مصادر إلهام دانتي، والتي تضمنت قصة الإسراء والمعراج والتراث الفكري الإسلامي بينما ظلت مسألة تأثره المباشر برسالة الغفران موضع خلاف بين الباحثين.

كان المستشرقون الأوروبيون هم أوّل من لفت الانتباه إلى هذه العلاقة المحتملة، ففي عام 1900م، عثر المستشرق الإنجليزي "آرثر نيكلسون" على نسخة مخطوطة من "رسالة الغفران" للمعرّي، ونشر ملخصاً للجزء الأوّل عام 1900م، ثمّ الجزء الثاني عام 1902م. وفي عام 1919م، قدم المستشرق الإسباني "ميغيل آسين بلاثيوس" بحثاً هاماً في مؤتمر

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 59–60.

الاستشراق بمدريد، حيث أعلن أنّ "الكوميديا الإلهية" متأثرة بشكل كبير بمصدرين رئيسين:

- **قصة الإسراء والمعراج:** وهي الرحلة الروحية التي قام بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمّ صعوده إلى السماوات العليا.
- **التراث الفكري الإسلامي:** بما في ذلك الفلسفة الإسلامية والأخلاقيات الصوفية[1].

لا شك في أنّ دانتي قد تأثر بالثقافة العربية الإسلامية لكن تحديد مدى تأثره برسالة الغفران على وجه التحديد يبقى موضوعاً مفتوحاً للبحث والدراسة.

***

1 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 62–72.

الفصل الثالث:

أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية

تمهيد:

التفاعل بين ثقافات الأمم والشعوب مقوّم أساسي في بناء الحضارات، بحيث لا يمكن لأيّ أمة بناء حضارتها بمعزل عن الأمم الأخرى، كل الأمم تتلاقى عند بعض الأفكار وتختلف في غيرها، تتبادل فيما بينها لإنتاج أعمال إبداعيّة جديدة، لأنّ نهاية كل عمل هو بداية لعمل جديد.

من الأعمال التي برزت فيها أوجه التشابه، بالرغم من اختلاف الزمان والمكان هما "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعرّي و"الكوميديا الإلهية" لدانتي أليجييري.

يرى بعض النقاد أنّ "دانتي قد تأثر بشكل واضح بأبي العلاء المعرّي وأنّ "رسالة الغفران" لها الفضل، ويؤكد هذا الفريق من الباحثين على أنّ دانتي قد تأثر بالثقافة الإسلامية عند تأليفه للكوميديا الإلهية، وذلك خلال فترة احتكاك الإفرنج بالمسلمين، وقد كان الإيطاليون أسبقهم إلى هذا"[1]. مما قد يدّل على اطلاع دانتي على رسالة الغفران وإعجابه بها وتدوين كتاب الكوميديا الإلهية. وبناء على ذلك، لقد أخذ دانتي من المعرّي واقتبس من رسالته، "ذلك أنّ المعرّي توفي سنة 449هـ، في حين توفي دانتي سنة 720هـ"[2].

ذهب فريق آخر من النّقاد المقارنين بقولهم: "إنّ مصادر الكوميديا الإلهية لدانتي تشربت من ينابيع الثقافة الإسلامية كقصة الإسراء والمعراج، أمّا نسقها وتطورها فمأخوذ من رسالة الغفران"[3].

السبب وراء التباين في وجهات النظر حول تأثر دانتي بالإسلام أو رسالة الغفران، هو غياب الدليل القاطع الذي يثبت أو ينفي هذا التأثر بشكل قاطع، تاركًا الأمر مفتوحًا

1 – محمد مندور: نماذج بشرية، نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1997م، ص 51.

2 – المرجع نفسه، ص 52.

3 – عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ج9، ص 253.

للاجتهادات المتنوعة.

من ناحية أخرى يرى يوسف بكار أنّه: "لِما بينهما من تشابه فليس ثمة دليل علمي إلى الآن على تأثر دانتي تأثرًا أكيدًا، وفق المنهج الفرنسي، بأبي العلاء المعرّي، عن طريق أي وسيط من وسائط المقارنة"[1]، ذلك راجع إلى بعد المسافة بين دانتي (الغربي) وأبي العلاء المعرّي (العربي) وأيضًا الفارق الزمني بين حياة كل منهما.

على الرغم من الاختلاف في البيئة والزمان، العقلية والعقيدة، الأسلوب العملي، إلاّ أنّهما يتقاربان في بعض النقاط فكلاهما يعبر عن رحلة إلى العالم الآخر.

فما هي أوجه التشابه والاختلاف بين العملين الأدبيين؟

1 – أوجه الاختلاف:

تجسّد كل من رسالة الغفران والكوميديا الإلهية أفكارًا مشتركة مستوحاة من المصادر الإسلامية، مثل قصة الإسراء والمعراج، حيث تتناول الرحلة إلى العالم الآخر، مع التركيز على فكرة البعث والنشور، ونعيم الفردوس، وعذاب المعذبين في النّار، ووجود التائبين في الجنّة. أما أوجه التباين فهي:

تشّكل كل من رسالة الغفران والكوميديا الإلهية رحلتين استثنائيتين إلى العالم الآخر، تنفردان بغياب عناصر الخوارق والمعجزات، على الرغم من أوجه التشابه الكثيرة بينهما إلاّ أنّ هناك جدلا في ذلك. "الدكتورة عائشة عبد الرحمن لا تجد أي تشابه بينهما، عدا أنّهما يلتقيان عند "الرحلة للعالم الآخر"، وهي ليست فكرة المعرّي، بل هي فكرة قديمة عرفها اليونان"[2].

– البطل:

كتبت رسالة الغفران في شكل رواية، بطلها هو ابن القارح، الذي "لم يكن نبيًا مرسلاً

1 – يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة، مصر، 2008م، ص 230.

2 – نفسه.

ولا وليًا مقربًا من الله، بل كان إنسانًا عاديًا يعاني من نفس الضعف الذي يعاني منه سائر النّاس، يسعى في الأرض لتحقيق أهدافه ورغباته، يخطئ أحيانًا ويصيب أحيانًا"[1]. فهذا البطل – ابن القارح – الذي تقوم عليه الأحداث منذ البداية آلة النهاية.

بالنسبة للقسم الأوّل، يشرع ابن القارح في رحلة وجودية تحاكي رحلة الروح بعد الموت، حيث يلتقي بأرواح الشعراء في جنات وأخرى في النّار، ويصادف شخصيات من عالم الجن والإنس، وحتى من عالم الحيوان، في رحلة تثير التساؤلات حول طبيعة الحياة والموت والوجود، كما يتضح في الرسالة: "جاءني أبو تمام إلى خرسان، فبلغني أنّه لا يصلي فوكلت به من لازمه أيامًا، فلم يره صلى يومًا واحدًا، فعاتبته فقال: يا مولاي، قطعت إلى حضرتك من بغداد، فاحتملت المشقة وبعد الشّقة ولم أره يثقل علي، فلو كنت أعلم أنّ الصلاة تنفعني وتركها يضرّني ما تركتها"[2]. جاء إلى أبي تمام ابن القارح، يشتكي عن مشقّة الصلاة بالنسبة إليه، وأمره بأن يتبعها، فهنا التقى بإنسان مثله وهو الشاعر أبو تمام.

أمّا القسم الثاني، فهو الرّد على الرسالة، إذ يشكل القسمان حلقة متّصلة، حيث يمثل رد أبي تمام تفاعلاً مع رحلة ابن القارح بطل رسالة الغفران، هذا الأخير الذي يريد أن يصل إلى الجنّة فيصل ويجتمع بسكانها، ثمّ يعرج إلى النّار ويتحدث مع المذنبين فيها، مثلما تحدث مع أبي تمام.

أمّا في الكوميديا الإلهية، فتروي رحلة دانتي بطلها وكاتبها عبر عالم ما بعد الموت، إذ تبدأ رحلته من غابة مظلمة بلا نور، كما ورد في الأنشودة الأولى من الجحيم. "في منتصف طريق حياتنا، وجدت نفسي في غابة مظلمة، إذ ضللت سواء السبيل، آه، ما

1 – ينظر، صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1986م، ص 73.

2 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 41.

أصعب وصف هذه الغابة الموحشة الكثيفة القاسية، التي تجدد ذكراها إليّ الخوف"[1].

بعده يبحث عن النّور، فيلتقي بالشاعر "فرجيل" الذي يكون له الدليل فيصطحبه معه، يعبران الجحيم المطهر، ثمّ ينعم بالدخول إلى الجنّة والتمتع بها وبخيراتها.

فيما يخص قصة الإسراء والمعراج، فشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي الشخصية الأساسية، فقد أسرى به الله من مكة إلى المسجد الأقصى، حيث يقول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[2]، ليشاهد عجائب آيات الله سبحانه وتعالى، التي يصنع بها ما يريد.

- **الشخصيات:**

وظّف أبو العلاء المعرّي في رسالة الغفران شخصيات أكثرها من طبقة الأدباء والعلماء على اختلاف العصور والمستويات من بينهم، الأخطل، الأصمعي، الأعشى، البحتري، امرؤ القيس، بشار بن برد، زهير بن أبي سلمى، الشنفرى... وغيرهم.

احتك ابن القارح بهم و"كأّنما هذا الاصطفاء اعتراف منه بأنّ النّاس الذين يجب أن يعودوا في الحياة هم هؤلاء النّاس"[3]. كما وظّف الأنبياء والصحابة مثل محمد (صلى الله عليه وسّلم)، موسى (عليه السلام)، فاطمة الزهراء بنت محمد (عليه الصلاة والسلام)، عبد الله بن عباس...

من بين الشعراء الذين التقى بهم أبو عبيدة إذ يقول: "ولو كان عبيدة أذقر الفم لما

1 – دانتي أليجييري، الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 82.

2 – سورة الإسراء، الآية 1.

3 – خليل هنداوي: بين المعري في رسالة الغفران ودانتي في الكوميديا الإلهية، العربي، الكويت، ع266، 1981م، ص 115.

أمنت على كلفه بالأخيار أن يقتله شق البَلْسَة بلا استكبار"[1]، "لأنّ هدفه من الرّحلة كان إجراء لون من النقد الأدبي واللغوي... وأمّا الكوميديا الإلهية، فتجسد تنوعًا في شخصياتها فيهم المتغطرسون، البخلاء، الجشعون، أصحاب الشهوة، الغاضبون، التائبون... كل حسب درجته، إمّا في الجحيم أو المطهر أو الفردوس الأعلى. ويختلف معيار دانتي في تقسيمه الشخصيات عن معيار المعري فـ"المعيار الذي يعتمد عليه المؤلف لوضع شخصياته في الجنّة أو النّار بالسّعة والرّحمة واللطف والتحرر مما كان لا يستدعي شك بمنظور الفقهاء الذين يرون دخول أناس معروفين بكفرهم وفسوقهم الجنّة زندقة لا تغتفر"[2].

فالمعرّي لم يستند في ذلك إلى الجانب الأدبي ليدخل الأديب إلى الجنّة أو النّار، ومن الذين وجدوا في الجنّة، نجد: زهير بن أبي سلمى، عبيد بن الأبرص، يقول: "هذان ماتا في الجاهلية ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء وسوف التمس لقاء هذين الرجلين، فأسألهما ليغفر لهما: فبدأ بزهير فيجده كالزهرة الجنية"[3]... يعطي للمغفورين لهم أوصاف حسنة، أمّا المذنبون فأوصاف سيئة.

أمّا دانتي فقد اعتمد على معيار مغاير، "امتاز بالقسوة على المذنبين يصف المجرمين الذين حشرهم في النّار، وفي مقدمة كل أنشودة يذكر من مشاهيرها، مثال ذلك نجد الأنشودة الرابعة وهي أوّل حلقة من حلقات الجحيم سميت "اليمابيس": أرواح فاضلة، لا تتعرض لعذاب آخر سوى الرغبة الغير المرضية في رؤية الله". وهذه الحلقة أيضا مخصصة للشعراء القدامى، وتتميز بنزول المسيح عليه السلام، فيقول[4]:

"إنّه هوميروس، الشاعر المعقودة له السيادة.

---

1 – أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 402.

2 – صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، المرجع السابق، ص 73–74.

3 – أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 182.

4 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 161.

يليه هوراتيوس الساخر

الثالث هو أوفيديوس والرابع لوكانوس".

أمّا بالنسبة للحلقة الثانية، فهي مخصصة "للفاسقين يجرفهم إعصار الجحيم"[1]... وغيرها من الحلقات إلى غاية وصولنا إلى الحلقة التاسعة وهي "دائرة يهوذا حيث يعذب خائنو المحسنين إليهم وخائنو السلطة الإنسانية والإلهية وأكثرهم إثما يلتهمهم لوسينير"[2]، أمّا المطهر فقد وضع فيه بعض الأسماء مثل: سقراط، أفلاطون، أرسطو، صلاح الدين الأيوبي، ابن سينا... أما فيما يخص محطة الفردوس، فنجد فيها بياتريتشي عشيقة دانتي، وغيرها ينعمون بالنعيم، كما قال في الأنشودة الأولى من الفردوس[3]:

"عندما رأيت بياتريتشي ملتفتة

إلى يسارها تتطلع إلى الشمس

فلا نسر حدق بهذا الإمعان"

ويكمل أنشودته، مع اصطحابه من قبل بياتريتشي كدليل يهتدي به الطريق، لتشمل شخصيات اجتماعية أيضًا، لذلك كان عدد الشخصيات في الكوميديا الإلهية أكثر على عددها في رسالة الغفران.

- تقسيم الأجزاء:

قام المعرّي بتقسيم رسالته إلى ثلاثة أجزاء، متمثلة في الجنّة، المحشر، النّار، أمّا دانتي فقسم الكوميديا إلى ثلاثة أجزاء هي الجحيم، المطهر، الفردوس.

- النّار / الجحيم:

1 - دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 171.

2 - المصدر نفسه، ص 421.

3 - المصدر نفسه، ص 730.

يقول المعري عن الملائكة حراس النّار في حديثه عن أهل النّار[1]:

أمديرها من حيث دار لشدّ ما زاحمت تحت ركابه جبريلا

فهم من كانوا يحرصون المعذبين عند أبواب الجحيم. أمّا عند دانتي فكان حراس الجحيم من أهل الشياطين كما قوله في الأنشودة الثالثة[2]:

"كارون، الشيطان الذي عيناه من الحمر

يستقبلهم جميعا بوجههم

ضاربا بمغرافه كل من يتأخر"

لقد أبدع دانتي في وصفه الجحيم، وجعل لكل منطقة من مناطق الجحيم شيطان مسؤول.

- **المحشر / المطهر:**

يتسم المحشر في رسالة الغفران بالكثير من السلبيات منها الخوف والضعف وغيرها التي يظهر عليها، حيث يقول: "وأنا رجل مهياف... وحفت في العرق من الغرق"[3]، وذلك لذنوبه وقلة حسناته، ويقول: "وجدت حسناتي قليلة كالفناء في العام الأرمل"[4]، لهذا ترتب عليه الخوف والفزع.

من جهة أخرى نجد المطهر عند دانتي يتجلى على هيئة جبل شاهق، مقسم إلى عشر درجات، وهي بالترتيب من الأسفل إلى الأعلى: المتغطرسون، والحاسدون، والغاضبون، والكسالى، والبخلاء، الجشعون، وأصحاب الشهوات الحسية، وفي مقدمة المطهر نجد الأمراء المهملين ومن لقوا حتفهم بالعنف والمهملون الكسالى.

---

1 – أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، ص 461.

2 – دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 159.

3 – أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 90.

4 – المصدر نفسه، ص 91.

- الجنة / الفردوس:

وظّف المعرّي إبداعه في وصف الجنة، حيث نسب إليها الشعراء، منهم الجاهليون كزهير بن أبي سلمى... ومن المخضرمين نجد شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حسان بن ثابت. ومن اللغويين أيضًا نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي... وهكذا ليقدم لنا أحوال الجنة ومن فيها.

وفي الأخير، يصور الجنّة التي يتمناها لابن القارح، حيث قال: "فقد غرس لمولاي الشيخ الجليل إن شاء الله بذلك الثناء شجر من الجنة لذيذ اجتناه، كل شجرة منه تأخذ بين المشرق والمغرب بظل غاط، ليس في الأعين كذات أشواط"[1].

يعطي المعرّي صورة للجنة من خلال الأشجار الواسعة التي بها فواكه.

2 - أوجه التشابه:

تتشابه كل من الرحلتين في الحوادث كثيرة نذكر منها التالي:

- يتفق دانتي مع أبي العلاء في التسامح، إذ يتصور دانتي نجاة أبطال الكوميديا الإلهية من عذاب الجحيم، فيضع في المطهر كل من قيصر وسقراط، أرسطو، وفرجيل وغيرهم، ثمّ يقوم بترقية البعض منهم إلى الجنّة ويبقي الآخرين في المطهر. كما نجد ميله السياسي يدفع به لإدانة بعض رجال الكنيسة وإدخالهم جهنّم ومنهم البابا، وأمراء مسيحيون، لا لعقيدتهم وإنّما لأفعالهم وأعمالهم. كما نرى نفس الإثارة والإعجاب والسخرية لمشاهد الجنّة والنّار عند كل من دانتي وأبي العلاء.

- نجد في رسالة الغفران لقاء ابن القارح بحوريتين من "حور العين" فينبهر من جمالهنّ فتقول إحداهما: "أتدري من أنا يا علي ابن منصور؟ فيرد قائلاً: أنت من حور الجنان اللواتي خلقهنّ الله، فتجيب: "أنا كذلك بإنعام الله تعالى، كنت أمكث في باب العراق بحلب، وأبي صاحب ملك، وتزوجني رجل يبيع السقط وطلقني بسبب رائحة كرهها، وعندما علمت أنّني

1 - أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 140.

من أقبح نساء حلب زهدت في الدنيا، لذلك أصبحت بقدرة الله ما أنا عليه الآن"[1].

وتقول الأخرى "أتدري من أنا يا ابن منصور؟ أنا السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد وكنت أخرج الكتب إلى النساخ، فيقول: لا إله إلا الله لقد كنت سوداء فأصبحت أنصع من الكافرين"[2]، هنا نجد الشبه في هذه الواقعة مع وقائع دانتي عند لقائه بياتريتشيي في المطهر وبيكاردا دوناتي الفلورنسية في سماء القمر، بالإضافة إلى كويترادي بادوا في سماء الزهرة، مثل: حمدونة وتعاسة حظها والشقاء في حياتها الزوجية، ومن جهة أخرى بيكاردا وجمالها الذي أدهش دانتي مثل توفيق السوداء.

"في رسالة الغفران يلتقي ابن القارح بخيتعور ملك الجان الذي ينشده طرفًا من أشعاره الملحميّة، ثمّ يلتقي بالعقبات التي تسد الطريق عليه، المتمثلة في أسد يفترس أبقار الجنة وإبلها دون أن تؤذى الفريسة بظفر ولا ناب، وذئب يقتنص ضياء الجنة فتعود بالقدرة لما كانت عليه"[3].

– يعبر المسافر الصراط الذي يؤدي إلى الجنّة على ظهر جارية من جواري السيدة فاطمة الزهراء، مثلما يعبر دانتي وفرجيل الممر الذي يصل بين الحلقتين السابعة والثامنة على متن جيريون، وقد عرج ابن القارح إلى أعلى السماء متعلق بركاب فاطمة الزهراء التي تطير في الهواء، مثلما استعان دانتي في صعوده بحبيبته بياتريتشي التي قادته إلى عالم الملكوت الأعلى.

– يرفض الشاعر بشار بن برد الإجابة عن أسئلة ابن القارح فيرد عليه بعد إلحاحه "يا هذا دعني من أباطلك فإنّني لمشغول عنك"[4]، من جهة أخرى نجد دانتي يمر بنفس الموقف مع

1 – المصدر نفسه، ص 138.

2 – نفسه.

3 – صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية، المرجع السابق، ص 82.

4 – أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 162

بوكاد لجي أماني الذي رفض هو الآخر الإجابة على أسئلته ويجيبه "بمثل تلك العبارات الساخطة"[1].

– يرى بطل رسالة الغفران إبليس يضطرب في الأغلال والسلاسل فيدور بينهما حوار "يسأله إبليس خلاله عن اسمه وصنعته وعندما يعلم أنّه الأديب يقول له: "يئست الصناعة، إنّها تهب عفة من العيش لا يتسع بها العيال وإنّه لمذلّة بالقدم، وكم أهلكت مثلك"[2]. وهذا شبيه لما نجده عند دانتي بوصفه للعملاق الناري الذي يلتقي به عند انتقاله من الحلقة الثامنة إلى الحلقة التاسعة من حلقات الجحيم، وهنا يتضح التشابه بين المشاهد والحوادث في كل من رسالة الغفران والكوميديا الإلهية.

وأما أوجه الشبه والاختلاف على المستوى الفني، فعلى الرغم من اختلاف اللّغة بين الأدبين (العملين) إلاّ أنّهما يشتركان في بعض النقاط ويختلفان في أخرى.

– لغة المعرّي في رسالة الغفران:

قارئ رسالة الغفران، ينتابه الغموض في مضمونها، لما فيها من تعقيد لغوي ومفردات تتسم بالغرابة فعلى قارئها أن يكون ذا علم واسع ومعرفة وخبرة لاكتشاف ما في الرسالة من صور فنية وأساليب مبتكرة.

رأى فيها النقاد القدامى، ثقافة المعرّي الواسعة، فمن وقف على كلام أبي العلاء المعرّي في رسالة الغفران في البيتين للنمر بن تولب:

أَلَمَّ بِصُحبَتي وَهُم هُجودٌ خَيالٌ طارِقٌ مِن أُمِّ حصن

لَها ما تَشتَهي عَسَلٌ مُصَفّى إِذا شاءَت وَحُوّاري بِسَمنِ

وكيف غير القوافي منها، ونزلها على سائر حروف المعجم، على تمكن أبي العلاء

1 – صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية على الكوميديا الإلهية، المرجع السابق، ص 83.

2 – نفسه.

من الآداب واطلاعه"[1]. من خلال ما نجده من توظيف لمكتسبات موسوعية نرى قدرته وإدراكه الأدبيين.

ما يميز لغته أيضًا، اللّغة القرآنية تغلب على نصه، يستدل بها في بعض المواقف مثلاً قوله: "وإن ظهر منّي تحرّز في بعض المواطن، فإنّ ذلك على طريقة الحزم"، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِم يَومَئِذ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفا لِّقِتَالٍ أَو مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَة فَقَد بَآءَ بِغَضَب مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئسَ ٱلمَصِيرُ ١٦﴾ [2].

- لغة دانتي أليجييري في الكوميديا الإلهية:

استعمل دانتي لغة بسيطة، بعيدة عن الغموض والتعقيد، على عكس لغة المعرّي المعقدة، فدانتي يعتز كثيرًا بلغته، حيث يكيل المديح مع الشاعر التروبادور لأنّه صاغ شعره بلغته الأمّ البروفنسالية، يقول[3]:

"فقال لي بينا يشير إلى شبح يتقدمه يا أخي، إنّ هذا الذي أشير لك إليه بالإصبع". فدانتي يعتز ويفتخر باللّغة الإيطالية، ويفضلها عن غيرها من اللغات.

من جهة أخرى نلاحظ توظيف دانتي بعض الكلمات العامية في الإيطالية، وهذا ما يستصعب علينا فهمها لأنّها لغة الآخر الخاصة، إلاّ إذا عدنا إلى التهميش في النشيد العشرون من الجحيم، "يدعو دانتي عمله بالكوميديا بأسلوب مزيج يتبنى فيه العامية ويرفعها إلى لغة شعرية"[4]. وبهذا يكون دانتي قد دوّن شعرًا شعبيًا لكن نجد فيه كلمات فقط وليس بلغة عامية إيطالية.

الكوميديا الإلهية، على عكس رسالة الغفران التي تتميز بالغلو اللغوي والتكلف، فهي

1 - طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء المعرّي، المرجع السابق، ص 485.

2 - سورة الأنفال، الآية 16.

3 - دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 149.

4 - المصدر نفسه، ص 661.

تعتمد على لغة محددة دقيقة غير مزخرفة.

- من جهة الأسلوب:

من جهة الأسلوب فرسالة الغفران، كما سبق الذكر أفسد من جمالها الكثير الغلو اللغوي والتكلّف والاصطناع... وغيرها هو الأسلوب المعتمد في هذه الرسالة، وهو "يؤثر الصعوبة والمتانة والتعمق، ولزوم ما يلزم، والتفنن في اللفظ والمعنى بالإضافة إلى التعقيد اللغوي هو ما يميز المعرّي في رسالة الغفران فهو يعد زعيم مذهب التصنع في زمنه إزاء عصره شهد تطورًا حضاريًا، فعدت الكتابة فيه معقدة في قواعدها وأساليبها"[1].

"والحقيقة في أنّ تنوع الأساليب ضمن النسيج السردي، جعل الكثير في حيرة حول تجنيس الرسالة، من جهة نجد الجل اتفق على أنّها ليست رسالة بالمعنى الاصطلاحي، والبعض قال قصة، في حين نجد آخرين جعلوها شكلاً من أشكال الرواية، وطائفة أخرى تقول عنها فن مسرحي بسبب غناها بالحوار، والتقسيمات إلى مشاهد"[2].

أمّا الكوميديا الإلهية، فهي تعتمد على لغة محددة ودقيقة، خالية من الزخرفة والصناعة في الشعر والكلمات، أسلوب دانتي موجز، كما أنّ دانتي يجعل شعر "فياضًا بالحياة بالمفاجآت والضوء، واللون، الصوت والحركة، الحوار، ويستخدم أيضًا الرمز الاستعارة، واستخدم رموزًا من الأحياء الذين يشعرون ويتكلمون والمظاهر الطبيعية، خاصة عندما يتحدث عن خصومه السياسيين والحكام الطغاة"[3].

3 - الغرض منهما:

الغرض الرئيسي من رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي هو غرض ذاتي، ولون من ألوان النقد، ليس لرسالة الغفران غاية رمزية سوى الدعوة إلى التوبة وأنّ الله غفور رحيم.

---

1 - صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، المرجع السابق، ص 48.

2 - عصام بهي: طلائع المقارنة في الأدب العربي، دار النشر للجامعات، 1996م، ص 95.

3 - دانتي أليجييري، الكوميديا الإلهية، المصدر السابق، ص 287.

أمّا الكوميديا الإلهية، فلها غاية رمزية على المستوى الشخصي لكل إنسان، وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي أيضًا، فهو يريد أن يقول: "فلورنسا يجب أن تعاقب المنحرفين فيها حتى نتمكن من التطهر وارتقاء سلم المجد"[1].

الكوميديا الإلهية فسحة تتسع للكون والوجود ولا تقتصر على الأفكار، بل تشمل جملة معارف عصرها[2].

***

1 – المصدر نفسه، ص 14.

2 – صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، المرجع السابق، ص 73.

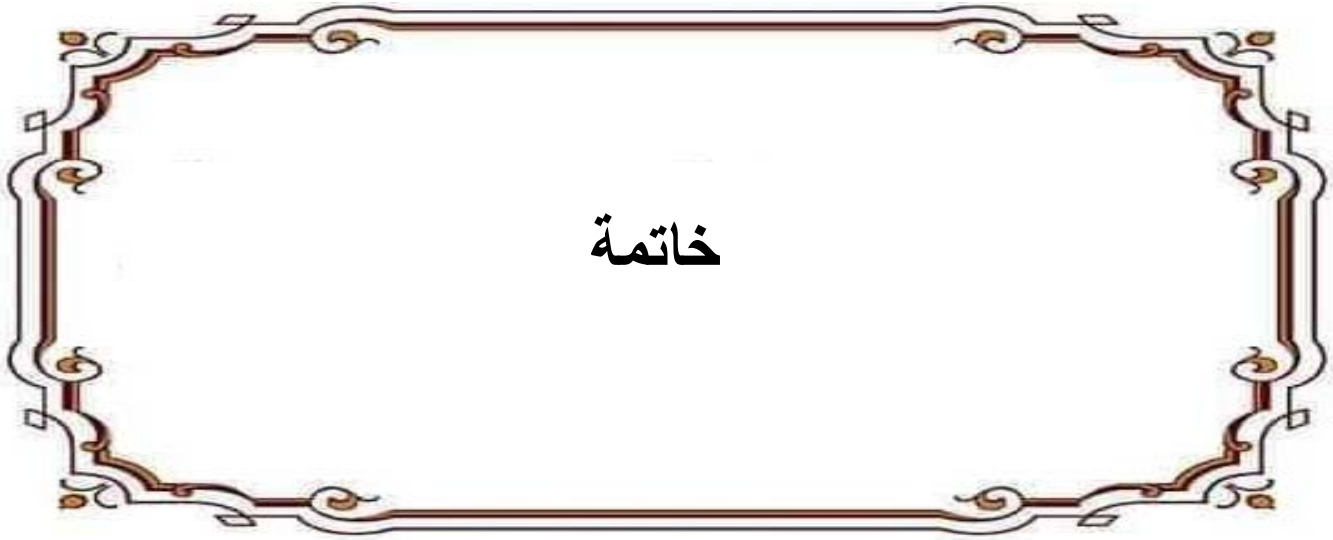

خاتمة

خاتمة:

ومن خلال ما تقدّم نصل إلى مجموعة من النتائج نذكرها فيما يلي:

– يمثّل الأدب المقارن جسورًا بين الثقافات حيث يساعدنا على فهم التفاعلات والمتلاقيات بين مختلف الآداب، واكتشاف التأثيرات المتبادلة بينها، وذلك من خلال دراسة مختلف محاوره.

– يشكل التأثير والتأثر ظاهرة جوهرية في عالم الأدب، ويقدّم لنا الأدب المقارن أدوات لفهم هذه الظاهرة وتحليلها بشكل علمي ودقيق.

– إنّ رسالة الغفران بقيت ملازمة للدراسات المقارنة دون أن يصل الدارسون فيها إلى تأكيد أو نفي صلتها بالكوميديا الإلهية.

– لا يوجد مانع تاريخي يمنع اتصال دانتي برسالة الغفران، ووجود الشبه بينهما من حيث المضمون بين العملييين، يؤكد تأثر دانتي بالتراث الإسلامي ورسالة الغفران، وهذا ما يؤكده عبد الفتاح كليطو بقوله: "في رسالة الغفران لا يلتقي ابن القارح بشعراء العرب فقط، وإنّما أيضًا الشاعر الإيطالي، إنّ دانتي حاضر في كل مشهد منها، والحوار بينه وبين المعرّي لا يتوقف".

– إنّ هدف الرحلة في العمليين كان ذا طابع أخلاقي يحث الآخرين للالتزام بالأخلاق.

– تعدّ كل من الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران من الإنجازات الأدبية التي تستحق أن تكون في أوائل الآداب العالمية.

– رغم تضارب الآراء حول تأثر دانتي بالتراث العربي الإسلامي فإنّ الرأي الراجح بالقبول هو أنّ كلاهما قد تأثرًا بنفس المصادر والموارد في البناء، على رأسها قصة الإسراء والمعراج.

***

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

1 – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010م.

2 – الحموي، ياقوت: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.

3 – الصّفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك: الوافي بالوفيات، دار صادر، ط3، بيروت، 1411هـ–1991م.

4 – المعرّي، أبو العلاء: اللزوميات، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1986م.

5 – المعرّي، أبو العلاء: رسالة الغفران، تحقيق درويش جويدي، شركة أبناء شريف الأنصاري، صيدا–بيروت، 1427هـ/2006م.

6 – المعرّي، أبو العلاء: رسالة الغفران، مقدمة الناشر، دار بيروت للنشر، بيروت، 1980م.

7 – المعري، أبو علاء: تعريف القدماء، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بإشراف د. طه حسين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط3، مصر، 1986م.

8 – المعري، أبو علاء: رسالة الصاهل والشاحج، دراسة فنية تحليلية مقدمة من أبي بكر الأمين القدم، 1998م–1999م.

9 – أليجييري، دانتي: الكوميديا الإلهية، الجحيم، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، ط2، القاهرة، 2002م.

10 – أليجييري، دانتي: الكوميديا الإلهية، ترجمة حنا عبود، وزارة الإعلام، ط1، دمشق، 2002م.

11 – بن خليكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م.

ثانيا: المراجع:

1 – ابن العديم: الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري (ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء).

2 – ابن رمضان، صالح: الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر القديم، دار الفارابي، بيروت، (د.ت).

3 – أدونيس: الشعرية العربية، محاضرات ألقيت في الكوليج دو فرانس، دار الآداب، ط1، بيروت، 1985م.

4 – الجبوري، كامل سليمان: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

5 – الجندي، سمير: الإبداع عند المعرّي في الغفران، دنيا الوطن، القدس، 2009.

6 – الجندي، محمد سليم: الجامع في الأخبار أبو العلاء المعري، دار صادر، ط2، بيروت، 1992م.

7 – الخطيب، حسام: محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، مطبعة طربين، 1974م–1975م.

8 – العقاد، عبّاس محمود: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1965م.

9 – العقاد، عبّاس محمود: مطالعات في الكتب والحياة، المجموعة الكاملة، المجلد الخامس والعشرون، الأدب والنّقد، دار الكتاب اللّبناني، ط1، 1403هـ/1983م.

10 – العلايلي، الشيخ عبد الله: المعرّي ذلك المجهول، رحلة في فكره وعالمه النفسي، دار الجديدة، ط3، بيروت، 1995م.

11 – أمين، أحمد: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953م.

12 – بكار، يوسف وخليل الشيخ: الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة،

مصر، 2008م.

13 – بكري، عطا: الفكر الديني عند أبي العلاء المعري، منشورات دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت، 1980م.

14 – بهي، عصام: طلائع المقارنة في الأدب العربي، دار النشر للجامعات، 1996.

15 – تيمور باشا، أحمد: أبو العلاء المعري، مطبعة لجنة، القاهرة، 1359هـ–1940م.

16 – حسين، طه: تجديد ذكرى أبي العلاء المعرّي، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1958م.

17 – رشيد، ناظم: الأدب العربي في العصر العباسي، مديرية دار الكتب، الموصل–بغداد، 1410هـ–1989م.

18 – سلام، أبو الحسن: الظاهرة الدرامية والملحمية في رسالة الغفران، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004م.

19 – ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط1، مصر.

20 – عبد الرحمن، عائشة بنت الشاطئ: جديد في رسالة الغفران، نص مسرحي من القرن الخامس الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403هـ/1983م.

21 – عبود، عبده: الأدب المقارن، مشكلة آفاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

22 – فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).

23 – فضل، صلاح: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1986م.

24 – مرتاض، عبد المالك: القصة في الأدب العربي، دار ومكتبة الشرطة الجزائرية، ط1، 1968م.

25 – مندور، محمد: نماذج بشرية، نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1997م.

26 – نصار، حسين: شرح اللزوميات لأبي علاء المعرّي، تحقيق منير المدني وآخرين،

الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1993م.

27 – هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، دار العودة، ط3، بيروت، 1978م.

28 – هنداوي، خليل: بين المعري في رسالة الغفران ودانتي في الكوميديا الإلهية، العربي، الكويت، ع266، سنة 1981م.

ثالثا: المجلات:

1 – مجلة البصائر، جامعة البنات الأردنية الأهلية، المجلد 2، العدد 1، ذو القعدة 1418هـ/1998م.

2 – مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، بين الأدب والدين، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، العدد 25، سنة 2010م.

4 – مجلة عود الند، إلكترونية ثقافية، فصلية، ع22، تاريخ النشر 2018/03/22.

5 – مجلة كلية التربية للبنات، مجلد 25، العدد 4، سنة 2017م.

***

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**ب**
المدخل	2
الفصل الأوّل: ترجمة أبي العلاء المعرّي	
تمهيد	7
1 – حياته ونشأته	7
2 – أعماله	11
3 – ملخص رسالة الغفران	13
الفصل الثاني: ترجمة دانتي أليجييري	
تمهيد:	34
1 – حياته ونشأته	34
2 – أعمال دانتي أليجييري	36
3 – ملخص الكوميديا الإلهية	37
4 – مصادر تأثر الكوميديا الإلهية	44
الفصل الثالث: أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية	
تمهيد	53
1 – أوجه الاختلاف	54
2 – أوجه التشابه	60
3 – الغرض منهما	64
خاتمة	67

قائمة المصادر والمراجع	69
فهرس المحتويات	74
ملخص بالعربي	76
ملخص بالإنجليزي	77

* * *

الملخص:

بينما لا يوجد مانع تاريخي يحوّل دون افتراض تأثر دانتي برسالة الغفران للمعرّي، مستخدمًا أيًا من وسائل الاتصال المتاحة بين الثقافتين العربية والأوروبية في عصره، إلاّ أنّ الرأي الأكثر ترجيحًا هو أنّ كلا من أبي العلاء المعرّي ودانتي قد استقيا من نفس المصادر، وخاصة قصة الإسراء والمعراج، في بناء قصصهما.

وعلى الرغم من تشابه الفكرة العامة بين الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران، والتي تتمحور حول رحلة إلى العالم الآخر، إلاّ أنّ الأدلة تشير إلى تأثر كل منهما بشكل مستقل بنفس المصادر.

إنّ التقاء الشعوب والحضارات ما هو إلاّ جسر لعبور التجارب والأفكار، فالآداب تكتسب البقاء والخلود لأنّها تلمس الواقع الإنساني سواء في الشرق أو الغرب، فرسالة الغفران والكوميديا الإلهية أعمال تستحق الخلود.

الكلمات المفتاحية:

المعرّي، دانتي، رسالة الغفران، الكوميديا الإلهية، التأثير.

***

Abstract:

While there is no historical impediment to assuming that Dante was influenced by Al-Ma'arri's Risalat al-Ghufran, using any of the means of communication available between the Arab and European cultures of his time, the most likely opinion is that both Abu Al-Ala Al-Ma'arri and Dante drew from the same sources, especially the story of al-Mi'raj, in constructing their stories.

Although the general idea of the Divine Comedy and Risalat al-Gufran, which revolves around a journey to the afterlife, are similar in general, evidence suggests that they were independently influenced by the same sources.

The meeting of peoples and civilizations is only a bridge to cross experiences and ideas. Literature gains survival and immortality because it touches human reality, whether in the East or the West. Risalat al-Ghufran and the Divine Comedy are works worthy of immortality.

Keywords:

Al-Ma'arri, Dante, Risalat al-Ghufran, The Divine Comedy, Influence.

* * *